


(دراسة في عالمية الخِطَاب القُرْآنيّ وجماليته)

**الطبعة الأولى**

**١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م**

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٧١٠ / ٢/ ٢٠١٢)

**٢٢٥,١١**
السعودي، أحمد عطية
**يا أيها الناس: دراسة في عالمية الخطاب القرآني/ أحمد عطية السعودي.**
**_ عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع، 2013.**
**(١٠٠) ص**
**ر.أ: (٧١٠ / ٢/ ٢٠١٢).**
**الواصفات: / ألفاظ القرآن / / القرآن الكريم /**

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ردمك ٩٧٨-٩٩٥٧-٧٧-١١٢-٦ **ISBN**



دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail : daralmamoun2005@hotmail.com

# ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾

## (دراسة في عالمية الخِطَاب القُرْآنيّ وجماليته)

- نِداءٌ مِنْ رَبّ العالمين إلى النَّاس أجمعين
- نِداءٌ مِنَ الغنَيّ الحميد إلى الفقراءِ المُعْدَمِين
- نِداءٌ مِنَ القَوي الشَّديد إلى الضُّعفاء الصَّاغرين
- نِداءٌ مِنْ رَبِّ النَّاس، ملكِ النَّاس، إلهِ النَّاس إلى النَّاس المخلوقين

بقلم:

**د. أحمد عطية السُّعوديّ**

دار المأمون للنشر والتوزيع




بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ




أحمدَ الله رفيع الدَّرجات، وفاتح البركات، وأصلّي وأسلّم على الرَّحمة المهداة، والنِّعمة المسداة محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

ففي دنيا النَّاس اليوم تدور حربان طاحنتان عنيفتان هما:

حرب باردة تدور رحاها في النفوس، أسبابَها: النِّساء والدَّراهم والفلوس، ووقُودَها: الحسدَ والإحن والحِقْد. وأسلحتَها: الغيبةَ والنَّميمة، والاستهزاء والسُّخرية، والسِّحر والشَّعوذة.

وحرب ساخنة تدور رحاها بين جيوش البشر، أسبابَها: الأطماع، والتهافت على المتَاع، ووقُودَها: النَّاس والحجارة، والحرث والنَّسل، وأسلحتَها: الرَّصاص المصهور، والقنابل الذَّكية، والفسفور الأبيض، والموت الأحمر.

فما كانت نتيجة هاتين الحربين العنيفتين؟

اعتدى الإنسانُ على الإنسان، وآذى الإنسانُ الإنسان، وظلم الإنسانُ الإنسان، فمَنْ ينقذُ الإنسانَ من نفسه؟ ومن ينقذُ الإنسانَ من مخالب أخيه الإنسان؟

- حاول لينين وماركس وستالين أن ينقذوا الإنسانية بخطابهم الشُّيوعي، فزادوها خراباً ودماراً، وسقطت إمبراطوريتهم الوالغةَ في دماء البشر بعد سبعين عاماً.
- حاول علماء النفس والاجتماع: دوكهايم، وأوجست كونت، وفرويد، بخطابهم النفسي الاجتماعي، فزادوا الإنسانيةَ تعقيداً وشقاء، وقلقاً ورهقاً.



- حاول قادةُ الغرب: هتلر وبسمارك وموسوليني ومن انتهج طريقهم، حاولوا بخطابهم السياسي، فأشعلوا الحرائق في كل مكان.
- حاول خبراء الاقتصاد بخطابهم الرأسمالي، فنشروا في العالم الجشَع والطَّمع، وأوقعوه في أخطر أزمة مالية في التاريخ الإنساني، ونشروا في العالم الرعب والهلَع بجنون البقر، وأنفلونزا الطيور، وأنفلونزا الخنازير!

وغير بعيد أنْ يزيدوا في ذُعْر العالم بأنفلونزا الكلاب، وما أكثرها في المجتمعات "المتحضِّرة"!

فمن ينقذُ الإنسانَ من أخيه الإنسان؟

ومن يصلح حياة النَّاس بعد الفوضى والفساد والاضطهاد؟

ومن يرسي دعائم السلم العالمي بعد الرُّعب والهلع، والجشَع والطَّمع؟

**أيّها القارئ الكريم،**

هذه الرسالة تُلقي الضّوء على المنْقذ الحقيقي، والمخلِّص الفعلي للإنسانية، إنه القرآنُ الكريم بندائه الإلهي، وخطابه الحضاري الذي أخرج للناس خير أمة، وهدَى لأقوم حياة، وأقوم حضارة، وتنَزَّلَ رحمةً للعالمين، فاستوعب الإنسان والزَّمان والمكاَن، واختص بحياة النَّاس بما تضمنه من بعد عالمي لشؤونهم وقضاياهم في المجالات كافّة.





وها هو نداء رب العالمين ﷻ يدوي في القرآن، ويتجدّد على مرِّ الغداة، وكَرِّ العشي مخاطباً النَّاس كلّهم أجمعين عبر الأعصار والأجيال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾.

وما أحوج النَّاس إلى الإصغاء والاستجابة لهذا النِّداء الكريم، وبخاصة في هذا العصر الذي يواجه فيه الإنسانُ هموماً قاتمةً تعصف به كالرياح العاتية، ويقع في مشكلات عويصة كالغريق في البئر العميقة، وتنتاب ذهنه نوازع متضاربة، كلما رحل نازع حلَّ نازع؛ فيحار، ويفكّر طويلاً، ويولول، لا يدري ما يفعل، وما عساه يصنع!

وقد آنَ للناس بعدَ أن ادلهم ليلُهم، فافتقدوا البدر، آنَ لهم أنْ يرجعوا إلى أنفسهم، ويستهدوا بما في النِّداء الخالد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ من نور عظيم، فتشرئب له أعناقُهم، وتهفو نحوه قلوبهم، وتتشوف إليه نفوسهم.

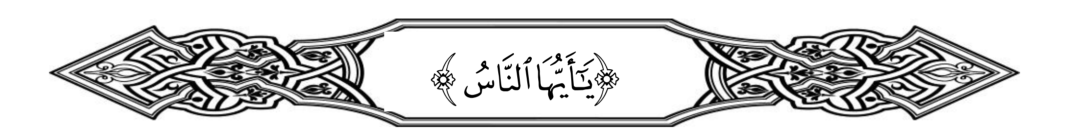
وإنّها لَفرحةٌ غامرة يوم يستجيب النَّاس لنداء ربّهم ذي الجلال والإكرام، فيومئذ يهديهم سبلَ السَّلام، ويذْهب غيظَ قلوبهم، وينزع من أيديهم الرَّصاص، ومن مخازنهم أسلحةَ الدَّمار؛ ويعيشون كلُّهم أجمعون آمنين في أسرابهم، أصحاء في أبدانهم، عندهم أقواتُهم، إخواناً على موائد الوِداد متقابلين، قد عمَّهم نور القرآن، وأظلَّهم خيره العميم.



فيا أيها الرجال، أيتها النِّساء، أيها الشَّباب، أيتها الشَّابات، أيها العلماء، أيها الأدباء، أيها العمال، أيها المعلّمون، أيّها الطَّلبة، أيها الموظّفون، أيها الفلاحون، أيها الفنّانون، أيها الإعلاميون، هذا نداء الله إليكم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾.

**د. أحمد عطية السعودي**

**dr.abuemam@hotmail.com**




# الفصل الأوّل

## دلالة الخِطَاب القُرْآنيّ للنّاس

يَحسن التعريف بالمفهومات الأوَّلية في هذه الدّراسة؛ إذ هي مضمار الدَّرس والتحليل، وعليها تبنى الأحكام الدقيقة، ومنها تُستنبط النتائج المفيدة.

الخطَاب في لغة العرب من الجذْر الثلاثي "خطَب":

**يقال:** خطَب النَّاس، وفيهم، وعليهم: ألقى عليهم خطْبةً.

**وخاطبه:** كلّمه وحادثه، ووجه إليه كلاماً.

**والخطَاب:** الكلام، والرِّسالة(١).

**والخَطَاب اصطلاحاً:** هو الكلام البليغ المنطوق أو المكتوب الموجه إلى المتلقي لإحداثَ أثر في أفكاره أو مشاعره أو سلوكه.

والخطَاب القُرآني هو كلام الله المعجز الموجِّه إلى النَّاس أجمعين لإعلامهم أو إلزامهم.

وقد اتّصف الخطَاب القُرآني بالفَصل.

والمقصود بفَصل الخطَاب: ما ينفصل به الأمر عن الخطَاب، أو هو خطاب

---

(١) المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس ورفاقه، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٢، د.ت، مادة (خطب) ص ٢٤٢-٢٤٣.




يفصل بين الحق والباطل، أو هو خطاب لا يكون فيه اختصار مُخل، ولا إسهاب مُمل[1].

وقد وردت لفظةُ الخطَاب في القرآن الكريم بمعناها الاصطلاحي في ثلاث آيات هي:

١ – ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾[2].

**والمعنى:** أنّ الله تعالى آتى عبدَه داود الفهم وإصابة القضاء، والفَصل في الكلام، وفي الحكم[3].

٢ – ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾[4].

**والمعنى:** غلَبني في الجدل والحِجاج[5].

٣ – ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾[6] .

---

(١) المصدر السابق، مادة (خطب)، ص ٢٤٣.

(٢) ص، آية٢٠.

(٣ ) انظر: مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق: محمد علي الصابوني، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج٣، ص٢٠٠.

(٤) ص، آية ٢٣.

(٥) مختصر تفسير ابن كثير، ج٣، ص ٢٠٠.

(٦) النبأ، آية ٣٧.

أي لا يقدر أحدٌ على ابتداء مخاطبته أو تكليمه إلا بإذنه[1].

والمفهوم الثاني الذي ينبغي توضيحه في اللغة والاصطلاح هو النِّداء.

**النِّداء لغةً:** "الصَّوت، وناداه مناداةً ونداء: صاح به"[2].

**والنِّداء اصطلاحاً:** "توجيه الدَّعوة إلى المخاطب، وتنبيهه إلى الإصغاء، وسماع ما يريد المتكلّم"[3].

وقد استعمل القرآن الكريم أسلوب النِّداء في مخاطبة النَّاس، واقتصر على استعمال حرف واحد من حروف النِّداء هو "يا"، وهو أشهرها، وأكثرها استعمالاً.

وجاء النِّداء الإلهي عاماً للناس جميعهم، لا يخص طائفةً دون طائفة، أو أهل عصر دون عصر، أو سكان إقليم دون إقليم، وإنّما هو موجّه للناس كُلّهم، ذكورهم وإناثهم، شيوخهم وشبابهم، أغنيائهم وفقرائهم، علمائهم وعوامهم، ساستهم وسوادهم.

ولا يختص بأهل مكة وحدَهم، بل يشمل النَّاس منذ تَنَزل القرآن الكريم حتى قيام الساعة.

---

(١) انظر: مختصر تفسير ابن كثير، ج٣، ص ٥٩٣.

(٢) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، طبعة حديثة منقحة، ١٩٧٩م، مادة (ندا)، ص ٦٥٣.

(٣) النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، ط٣، د.ت، ج ٤، ص ١.

وبلغ عدد مرات النِّداء الإلهي المفتتح بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ تسع عشرة مرة.

وثمّة نداء إلهي للناس ورد بصيغة أخرى هي ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾، وتكرر خمس مرات.

والفرق بين الصيغتين أنَّ كلمة النَّاس في صيغة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ جاءت مفردة غير مضافة، وهي اسم وضع للجمع كالقوم والرَّهط، وواحده إنسان من غير لفظه، وهي لفظة ذات دلالة عامة، تشمل الإنس والجنّ، وهي خطاب لجميع من يعقل.

وكلمة النَّاس مشتقة من ناس ينوس أي تحركَ وتذبذب، ويطلق على الجن والإنس، وقد سُمِّي الجن ناساً كما سمّوا رجالاً، وورد في سورة الجن ما يؤيد ذلك.

والعرب تقول: رأيت ناساً من الجن، لكن غلب استعماله في الإنس[1].

أما صيغة ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ فهي خاصة بالبشر، وجاءت كلمة ﴿بَنِيٓ﴾ مضافة إلى ﴿ءَادَمَ﴾، ودلالة ذلك أنَّ مضمون النِّداء يتعلّق بما وقع لآدم في الجنة؛ ففي النِّداء تذكير لأبنائه البشر بأن يعتبروا بما وقع لأبيهم، وذلك بستر عوراتهم، وأخذ الزينة عند كل صلاة، والحذر من كيد الشيطان وفتنته.

---

(١) انظر: المصباح المنير، أحمد بن علي الفيومي (٧٧٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ١٩٩٤م، مادة (نوس)، ج٢، ص ٦٣٠.




وثمة نداء إلهي لعموم الإنس والجن ورد بصيغة ﴿يَٰمَعۡشَرَ﴾، تكرر ثلاث مرات، نُودي الجن مرة واحدة (الأنعام، آية ١٢٨)، ونُودي الجن والإنس معاً مرتين (الأنعام، آية ١٣٠/ الرحمن، آية ٣٣)، والنِّداء في المرات الثلاث إنّما هو في الآخرة، فلا محلَّ له في هذه الدّراسة.

وإنّه لتشريف أيّما تشريف أنْ ينادي الله ﷻ النَّاس، فيشرفهم بخطابه، ويشملهم برحمته ولطفه؛ إذْ يدعوهم إلى الخير، ويبين لهم ما ينفعهم، ويصلح حياتهم، ويدلّهم على ما يسعدهم في الآخرة.

وقد جاء الخِطَاب القُرآني للناس واضحاً شاملاً يجلّي غايةَ هذا الكتاب العزيز، ويبيّن أنَّ هذه الغاية هي الهداية: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾[1].

١-يهدي إلى أقوم حياة: وهي الحياة الطيبة الهانئة في ظلال الإيمان:

﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ﴾[2].

ومن هدايته للتي هي أقوم أنّه "جاء لينشئ أمة، وينظّم مجتمعاً، ثم لينشئ عالماً، ويقيم نظاماً، جاء دعوةً عالمية إنسانية لا تعصب فيها لقبيلة أو أمة أو جنس، جاء لإنشاء مجتمع عالمي إنساني، وبناء أمة تقود هذا المجتمع العالمي،

---

(١) الإسراء، آية ٩.

(٢) النحل، آية ٩٧.




وإنه الرسالة الأخيرة التي ليس بعدها رسالة"[1].

٢- يهدي إلى أقوم حضارة: وهي الحضارة الخيرة القائمة على الحق والعدل التي زكّى ربُّ العالمين صنّاعها بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2].

وهدايةُ القرآن لأقوم حضارة تأتي لكونه نصاً إلهياً مطلقاً، فهو قادر على استيعاب مناهج العلوم المختلفة وتصويبها وتقويمها، وهو وحده بحكم عالمية رسالته قادر على استيعاب الأنساق الحضارية وتصويبها وتقويمها وترقيتها[3].

## دعائم الحضارة الرَّاسخة:

الحضارة هي الغاية الاجتماعية الرَّاقية التي يسعى إليها النَّاس، وهي في لغة العرب من الجذْر الثلاثي "حضَر"، وحَضْرةُ الرَّجل قُربُه وفناؤه.

وكلّمه بحضْرة فلان وبمَحْضَر فلان أي: بمشهد منه. والحَضَر: خلاف البدو، والحاضرة ضدّ البادية، يقال: فلان من أهل البادية، وفلان حضري وفلان بدوي.

**والحضارة:** الإقامة في الحضر، وهي المدن والقرى والريف[4].

**والحضارة في الاصطلاح:** مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني، ومظاهر

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٧، ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨م، م٣، ص٤٥٢.

(٢) آل عمران، آية ١١٠.

(٣) انظر: أبعاد غائبة عن فكر وممارسات الحركات الإسلامية المعاصرة، طه جابر العلواني، المعهد العالم للفكر الإسلامي، فرجينيا، أمريكا، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، ص ٣١.

(٤) انظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، مادة (حضر)، ص ١٤١.



الرُّقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي[1].

وترتكز الحضارةُ على دعائم كثيرة متعاضدة، أساسها أربع هي: الإنسان، والمكان، والمادة، والإيمان، وقد ورد في القرآن الكريم ما يشير إلى هذه الدعائم:

١- **الدّعامة الإنسانيّة:**

فأساس بناء الحضارة هو الإنسان الذي أمدّه الله تعالى بالذكاء والنبوغ، والقدرات الهائلة على الابتكار والاختراع.

قال تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ﴾[2].

ومعنى الآية أنَّ ذلك التمتّع أو الهدي خاص بغير أهل الحرم، أمَّا سكان الحرم المقيمون فيه فليس لهم تمتع، وليس عليهم هدْي[3].

٢- **الدّعامة المكانية:**

والمكان هو محل قيام الحضارة الإنسانية، وأساس قيامها في المدن الكبيرة التي تتوافر فيها الطاقات البشرية، والمعامل والمصانع، والأنهار والثروة الزراعية.

قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ

---

(١) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس ورفاقه، مادة (حضر).

(٢) البقرة، آية ١٩٦.

(٣) انظر: مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق: محمد علي الصابوني، ج١، ص ١٧٦.

يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ﴾[1].

والمعنى واسأل يا محمد، اليهود عن أخبار أسلافهم وعن أمر القرية التي كانت بقرب البحر مقيمة على شاطئه ماذا حلَّ بهم لما عصوا أمر الله، واصطادوا يوم السبت[2].

٣- الدّعامة المادية:

وتشمل وسائل العيش، ومراكب التنقّل والاتصال، ومرافق الخدمة العامة، ومظاهر العمران، وأساليب الإنتاج، والأجهزة والآلات، والمعامل والمصانع.

وقد أشار القرآن إلى مظاهر كثيرة للحضارات السابقة كالمدن العظيمة، والقصور، والآبار، والحدائق، والعيون، والزُّروع، والثمار:

- ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ﴾[3].

- ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي

(١) الأعراف، آية ١٦٣.

(٢) انظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج ١، ص ٤٧٨.

(٣) الحج، آية ٤٥.




ٱلْبِلَٰدِ﴾[1].

### ٤- الدّعامة الإيمانيّة:

وإذا كانت الحضارةُ منظومةً من الإنجازات الراقية في مجالات الحياة المختلفة، ومرحلةً سامية من مراحلِ التطور الإنساني فإنَّ القرآن الكريم يمنحها بعداً جديداً، ويزيدها تمدّناً ورقياً؛ لتكونَ منظومة متكاملة لا يعتورها خلَل، أو يسري فيها فساد، وهذا البعدَ هو الإيمان الذي يحقق الحياة الطيبة لبني البشر.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾[2].

يخبر القرآن الكريم أنَّ أهل سبأ كانوا أصحاب حضارة وجنّات ذات بهجة، وأرزاق واسعة، وكانوا ينعمون في أرغد عيش وأهنئه، فلما جحدوا بنعَم الله دمر الله حضارتهم، وأرسل عليهم سيل العرِم.

---

(١) الفجر، الآيتان ٦- ٨.

(٢) سبأ، الآيتان ١٥، ١٦.




## تفجير الخِطَاب القُرْآنيّ لأعظم حضارة:

وقد فجر نداء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ ونداء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ نهضة حضارية راقية؛ إذ استجابت له الأمة المسلمة، وكان من الثمار الحضارية اليانعة لتلك الاستجابة:

### أولاً: تغيير الأمّة الأمّية إلى أمّة علميّة:

كان من إعجاز القرآن أنّه غير أمة العرب الأمية، وارتقى بها إلى معارج التعلم والتحضّر، وجعل هذا التغيير على يد رجلٍ أميّ هو محمّد ﷺ:

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

وجعل القرآنُ شعار التغيير كلمةً واحدةً هي ﴿ٱقْرَأْ﴾، فكانت ﴿ٱقْرَأْ﴾:

مفتاحاً للحياة والحضارة، وثورةً على الجهل والتخلّف، وانتصاراً للعقل، وإعمالاً للفكر.

وحمّل هذا الشعار أساس التغيير، فلا تغيير إلا إذا قرأت الأمة باسم الله ربِّها وخالقها، ولا تغيير إلا إذا وجهت أفكارها وأعمالَها وجهودها في إعمار الأرض ابتغاء مرضاته وحده، ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾[2] وحينئذ يهديها ربُّها إلى اكتشاف

---

(١) الجمعة، آية ٢.

(٢) العلق، آية١.




نواميس الكون، واستخراج كنوز الأرض، ودليل ذلك أنَّ الآية الثانية بعد كلمة ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ جاءت في أدقّ أسرار الطب ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾[1].

وقد تكررت لفظة العلم ومشتقاته أكثر من (٨٠٠) مرة في القرآن الكريم[2].

أمَّا إذا قرأت الأمة باسم الشَّرق أو الغرب، أو باسم ماركس ولينين، أو باسم أرسطو وأفلاطون، أو باسم سايكس وبيكو فلن تجني إلا التخلّف والمهانة. وكذلك فعلت وجنت!

## ثانياً: بناء الإنسان المتحضّر:

غير القرآن طرائق التفكير الوثني الجاهلي، وأرسى طرائق التفكير العلمي الصحيح فخرج إنسانٌ حميد الأخلاق، مهذّب السُّلوك، مبدع اليد في الإعمار والتنمية، وخير من يمثّل هذا الإنسان الصحابة الكرام الذين كانت لهم مسيرة حافلة بمنظومة حضارية متكاملة من القيم الإيمانية والخلقية، والقيم العلمية والإبداعية، والقيم العملية والإصلاحية.

وعلى الرُّغم من نزول القرآن في أمة أمية بدوية فإنّه لم يكن تعبيراً عن مرحلة البداوة بل كان في جملته وتفصيله تعبيراً عميقاً عن مرحلة متقدّمة من مراحل

(١) العلق، آية ٢.

(٢) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ط٢، دار الفكر، بيروت ١٤٠١هـ ١٩٨١م. مادة (علم). وانظر: مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٨٣هـ ١٩٨٣م، ص ٨١ وما بعدها.

الحضارة والتمدّن، وكان يركّز في حديثه عن العرب على حياة المدينة الحضرية، وقلَّ أنْ تجد ذكراً للبداوة وحياة الرَّعي[1].

وقد أثّر القرآنُ تأثيراً كبيراً في تشكيل شخصيات الصَّحابة في عهد النبوة إذ "اصطفى الخالدَ من مكارمهم، وأبطلِ الشائنَ من عاداتهم، وزكّى ما عندَهم من استعداد، وأنار لهم طريق الهداية بعد حيرة، واستَجابوا له فأصبح الكتاب الّذي من خلاله ينظرون إلى الكون والحياة والوجود، وفي جوه الفكري والرُّوحي يعيشون ويحيون، وبمفاهيمه في الحياة يأخذون"[2].

والذين يتأملون حياة الصَّحابة الكرام يجدون أنّهم أوتوا علماً غزيراً، وهم من مختلف الأقوام، وجاء من بعدهم، وسار على هذا الهدي، فقامت للمسلمين "حضارة لم يكن بناتُها ودعاتُها وأساتذتُها من العرب وحدهم، بصفتهم هم أول من تلقّى الوحي، وإنّما شارك في ثراء هذه الحضارة الفكرية أجيالٌ من المفكرين والعلماء والأئمة. ووسعت بين دفّاتها عقولاً، وأمماً، ومدارس، واتجاهات، وصاغَت كل أولئك صياغة إسلامية موفّقة باَهرة"[3].

ومن الأمثلة على إنجازاتهم الباهرة إقامتهم الخلافة الراشدة، وانتشار حواضر

(١) انظر: الرسالة الخاتمة، عون الشريف قاسم، دار الجيل، بيروت، دار المأمون، الخرطوم، ط٢، ١٤١٠هـ١٩٩٠م، ص ٦٠- ٦١.

(٢) دراسة أدبية لنصوص من القرآن، محمد المبارك، دار الخير، بيروت، د.ط، د.ت، ص٩١.

(٣) انظر: مقدمة المحقّق في كتاب العواصم من القواصم، أبو بكر بن العربي (٥٤٣هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار الكتب السَّلفية، د.ط، د.ت. ص ٧.

الإشعاع العلمي في الأمصار الإسلامية في الحجاز، واليمن، والشّام، ومصر، وخراسان، وغيرها.

ومن نماذج الإنسان الذي بناه القرآن الإنسانُ الطبيب الحاذق، إذ "لمعت في سماء الحضارة العالمية أسماء مثل الرَّازي، وابن سينا، وأبي القاسم الزهراوي، وابن زهر الذين ما زالت مؤلفاتهم مرجعاً مرموقاً، وجذْراً حياً نبتت عليه، وانطلقت منه معظم إبداعات الطب الحديث"(١).

وقد أثنى الله تعالى ثناء عاطراً على صنَّاع هذه الحضارة بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(٢).

فهذه الآية الكريمة تبيّن أنَّ الله ﷻ زكّى الصَّحابة بأنّهم أمة خيرية لم تر البشرية مثلهم، وذلك يقتضي أنّهم قدوةٌ حضارية لكل الأمم والشُّعوب، وأنهم وحدهم القادرون على قيادة العالم بنظام رباني فريد، وأنّهم ما حقّقوا هذه الخيرية إلا بثلاثة شروط:

**الأول:** الأمر بالمعروف: وهو إشاعة القيم الفاضلة، وإدامة الأمن والسلم، والحفاظ على منجزات المجتمع والأمة.

**الثاني:** النَّهي عن المنكر: وهو مكافحة الجريمة والفساد، ومحاربة الاستبداد.

---

(١) آفاق الإسلام (الأردن) س ٣، ع ٣، أيلول ١٩٩٥م، (التبادل الحضاري بين العرب والغرب)، د. أشرف الكردي، ص ١٠٥.

(٢) آل عمران، آية ١١٠.



**الثالث:** الإيمان بالله ﷻ: وهو غاية وجود الإنسان، وأساس السيادة في الكون، والريادة في الحياة، والباعث على كل نهضة وتقدّم ورخاء.

كما أشاد النبي ﷺ بهذا الإنسان المتحضر الذي بناه القرآن:

عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: "خير أمتي قَرني، ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ الذين يلُونهم، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثاً، ثمَّ إنَّ بعدهم قوماً يَشْهدون ولا يُسْتشهدون، ويخونون ولا يؤْتمَنون، ويَنْذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السِّمن"(1).

وخلاصة القول أنَّ القرآن غيّر الأمة لما استجابت لندائه، وبنى لها حضارة ذات تميز عالمي، وصبغة إنسانية، وخصائص متفردة، ومن تلك الخصائص(2):

1- أنّها قامتْ على أساس الوحدانية المطلقة في العقيدة، فهي أول حضارة تنادي بالإله الواحد الذي لا شريكَ له في حُكْمه ومُلْكه.

2- أنّها إنسانية النَزعة والهدف، عالمية الأفق والرَسالة، فقد جعل القرآن حضارته عقْداً تنتظمُ فيه جميع العبقريات للشعوب والأمم التي خفقَت فوقها راية الإسلام.

---

(1) رواه البخاري، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ج5، ص 2-3. ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، حديث رقم 6422، ج15، ص 304 .

(2) انظر: روائع حضارتنا، د. مصطفى السباعي، مطبعة النور، عمان، ط 10، 1407هـ 1987م، ص 25-28.




٣- أنّها جعلت للمبادئ الأخلاقية المحل الأول في كل نظمها، ومختلف ميادين نشاطها، ولم تتخلَّ عن هذه المبادئ قطّ، ولم تجعلها وسيلة لمنفعة دولة أو جماعة أو فرد.

٤- أنّها تؤمن بالعلم في أصدق أصوله، وترتكز على العقيدة في أصفى مبادئها، فهي قد خاطبت العقل والقلب معاً، وأثارت الفكر والعاطفة في وقت واحد.

٥- أنّها حضارة التسامح الديني العجيب الذي لم تعرفه حضارةٌ مثلها قامت على الدين.

**ثالثاً: إقامة صرح الأدب الأصيل:**

حرص القرآنُ على إقامة صرحٍ أصيل للأدب؛ ذلك لما للأدب من تأثير بالغ في توجيه الفكر، وإثارة العواطف، وترسيخ المبادئ، والحفاظ على المنجزات الحضارية.

والقرآنُ هو الذخيرة الموحية للفنِّ الإسلامي وللحياة البشرية يستمد منها موضوعاته ومجالاته، وهو مرجع الفنون الإنسانية السامقة الّتي تصل إلى آخر حدود ما يستطيع أنْ يصل إليه الإنسان من عمق ورفعة واتّساع، فيتّسق مدارها مع مدار الكون وجماله، وتقوم موازينَها على قواعد التناسقِ الكونيّ الدّقيق





الجميل[1].

وقد عمل القرآنُ على تخليص هذا الفن الجميل ممّا أصابه من الفُحش والهذْر واللّغو حتى تصفو موارده، ويكونَ للكلمة قَدْرها في تربية النفوسَ وتقويم الأخلاق، وإذا لم يقم على هذا الفن حارسٌ مِنْ خُلق أو دين كان قوّةً من قوى الشّر المدمرة[2].

ووظائف الأدب التي يريدها القرآن هي نشر الهداية، وتعميق الرؤية الجماليَّة للكون، وتجديد الحياة، والارتقاء بها، وتربية الأخلاق والأذواق[3].

وقد تحدّث القرآنُ حديثاً صريحاً عن الأدب الفاسد وعن مفْسديه من الشُّعراء الذين يوجهون شعرهم لغواية النَّاس وإضلالهم، وإفساد أفكارهم وأذواقهم، ويخالف كلامهم أفعالهم.

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا

(١) انظر: منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، ط٦، دار الشروق- بيروت،١٤٠٣هـ١٩٨٣م. ص١٣٧-١٤٣.

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت. م٤، ص١٩٦.

(٣) مجلة جامعة القرآن الكريم، ع١، ذو القعدة ١٤١٥هـ - نيسان ١٩٩٥(مفهوم الأدب الإسلامي ووظيفته) د. عباس محجوب، ص١١٧ - ١٣٦.




وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾(١).

وحدّد القرآن الكريم أربع مراحل تبلُغ بالأدب القمة السامقة، وتنقذه من الفساد:

**الأولى**: الإيمان الصادق بالله ورسوله الذي لا تشوبه شوائب شرك أو نفاق.

**الثانية**: العمل الصَّالح: وهو عمل الخير والمعروف، والسلوك السوي، واستقامة الخلق.

**الثالثة**: ذكر الله كثيراً: وذلك بالإكثار من قراءة القرآن، وتسبيح الله وتحميده، وقول الشِّعر في توحيد الله، والثناء عليه، ومدح الرسول والصَّحابة الكرام.

**الرابعة**: الانتصار للحق من بعد الظلم، وهو دفاع عن الكرامة، ورفض للذّل والهوان، وعدم الركون للظلم، أو الاستسلام للأذى(٢).

وكان من هؤلاء الشعراء الّذين بلغوا القمة إيماناً وعملاً صالحاً، وذكراً مباركاً، وانتصاراً للحق: حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكَعب بن مالك(١).

---

(١) الشعراء، آية ٢٢٤ -٢٢٧.

(٢) انظر: الشعر والشعراء في الكتاب والسنّة، يوسف العظم، ط١، دار الفرقان، عمان ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، ص١١.




وهذه الصفات الكريمة تسمو بالأدب، وتملأ قلب الأديب بالإيمان، وتهذّب جوارحه بالعمل الصالح، وتنير لسانه بالذكر والكلم الطّيب، وتَشعل في نفسه جذوة الحرية والانتصار والاستعلاء.

وبهذا يتّضح "أن الإسلام لا يحارب الشّعر والفن لذاته - كما قد يفهم من ظاهر الألفاظ- إنّما يُحارب المنهج الّذي سار عليه الشّعر والفن: منهج الأهواء والانفعالات الّتي لا ضابطَ لها، ومنهج الأحلام المهومة الّتي تشغّل أصحابها عن تحقيقها"(٢).

والإسلام يعلي قيمة الكلمة الهادفة البنّاءة التي تدعو إلى الفضيلة، وتبعثَ في النفس الطمأنينة، وتسكب فيها معاني الخير والجمال، وتحركها نحو الخلق الحميد، والعمل المفيد، والعلم النافع.

ومن يزعم أنَّ الرسول ﷺ كان يعادي الشّعر ويخاصمه فقد ضل سواء السبيل، وأساء فهم

---

(١) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا ورفيقيه، دار الكنوز، ج٣، ص٨-٥٨، ص ١٢٩-١٦٨.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، م٦، ص٢٤٦.



الأحاديث الصَّريحة التي تنصُّ على موقف الرسول المؤيد والمشجع والمستمع بإعجاب للشّعر الأصيل النبيل[1].

والأدب الذي أقام صرحه القرآن حمل لواء العلم والعقل بينما كان الأدب اليوناني منحازاً في القسطنطينية، وكانت أوربا منهمكة في جهالتها، وأحيا أدبنا العقل الأوربي، فلو لم يكن للأدب العربي إلا أنّه حمل لواء الأدب الإنساني في عشرة قرون لكان هذا كافياً للاعتراف بأنَّه من الآداب الحضارية التي تعتز بنفسها، وتّثبت لصروف الزمان[2].

أمَّا لغة هذا الأدب وهي العربية فقد أصبحت في ظل القرآن لغةَ عالمية، واستطاعت أن تستوعبَ الحضارات المختلفة، الفارسية والهندية واليونانية، وأن تجعل منها حضارة واحدة، عالميةَ المنْزع، إنسانية الرؤى، وذلك لأول مرة في التاريخ[3].

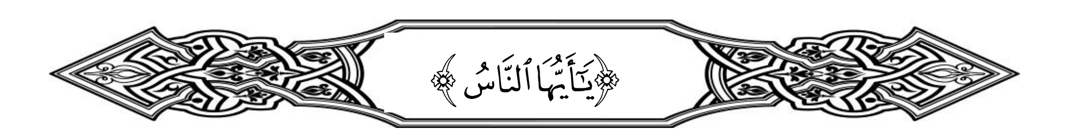
---

(١) انظر: من قضايا الأدب الإسلامي ، د. صالح آدم بيلو، دار المنارة، جدة، ط١، ١٤٠٥هـ١٩٨٥، ص٢٢-٤١.

(٢) انظر: الأدب والحضارة، د. السيد تقي الدين، دار نهضة مصر، الفجالة- القاهرة، ١٩٨٤م، ص ٤٣-٤٤.

(٣) انظر: من قضايا اللغة العربية المعاصرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٩٠م. ص ١٨.

وهكذا أقام الخطَاب القُرآني صرحاً حضارياً جديداً للناس بنداء ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ ليس فيه ما يحطّ من قيمة الإنسان وكرامته كالفحش والضَّلال والإلحاد سواء أكان ذلك على شكل صنم يعبد، أو مال يطغي، أو عشيرة تَغوي، أو كلمة تُضل، أو قصيدة تهدم.




# الفصل الثاني

## مضامين الخِطَاب القُرْآنيّ للناس

تنـاول الخطَـاب القُـرآني موضـوعات شـتى ذات صـلة وثيقـة بحيـاة النَّـاس وأخراهم، وشملت هـذه الموضـوعات المجـالات كافـة الرُّوحيـةَ والاجتماعيـةَ والمعرفيـة والجمالية والاقتصادية والحضارية.

وانتظمتْ هذه الموضوعات التي يزخر بها النّداء القُرآني في عشَرة محاور هي:

**المحور الأوّل- عبادة الله جَلَّ جَلَالُهُ:**

لا ريب أنَّ غايةَ الوجود هي عبادة الله ﷻ، وهي وظيفةُ الخلق من الإنس والجن، وتعني الإيمان بالله وحدَه، وإطاعة رسله، والعمل بشرعه، والاستقامة على أمره.

وقد جاء الخطَاب الإلهي يدعو النَّاس أجمعين إلى عبادته، ويبين لهم المسار الصَّحيح لهذه العبادة الحقّة، وذلك في النِّداءات التالية:

١- تكليف النَّاس بعبادة الله؛ لأنّه ربّهم الذي خلقهم، وأوجدهم من العدَم، ومهد الأرض لعيشهم، ورفع السَّماء فوقهم، وأغدقَ عليهم نِعمه، فهذا الخالق الرَّازق أحق أن يعبد وحده، ولا يشرك به غيره:




﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

٢- التوجه بالعبادة لله وحده، وإعلان البراءة من الشرك به، فالقرآن يخاطب المشركين من النَّاس، ويأمر نبيه محمداً ﷺ أن يبين لهم أنّه لا يعبد أوثانهم وأصنامهم، فهي لا تنفع ولا تضر، وإنّما يعبد الله الذي بيده محياهم ومماتهم، وهو خطاب لهؤلاء النَّاس لينضموا إلى صفوف المؤمنين:

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

٣- إقامة الحجة على النَّاس، وتحذيرهم من عبادة الشيطان؛ لأنّه العدو الحقيقي المشترك لبني آدم، وقد أغوى خلائق كثيرين عن الحق، والأولى ببني آدم لو استعملوا عقولهم أن يعبدوا الله

ربّهم، ويتّبعوا دينه الصَّحيح. ومن العجب في زماننا المعاصر ظهور طائفة من النَّاس يسمون بعبدة الشيطان، ويجاهرون بذلك في أمصار الإسلام:

﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ

(١) البقرة، الآيتان ٢١، ٢٢.

(٢) يونس، آية ١٠٤.

﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾[1].

٤- التجمل والتزيّن لعبادة الله، وهو نداء لبني آدم يذكّرهم بما وقع لأبيهم آدم من كشف عورته لما أطاع الشيطان، فعصى ربه، ونداء يحث على العناية بالجمال في عدّة جوانب منها:

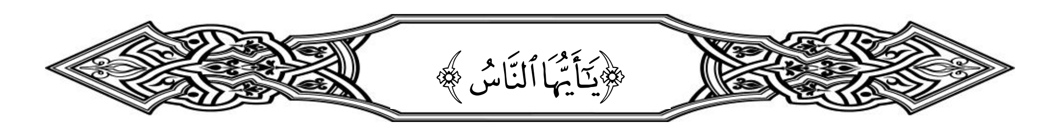
ستر العورة، والاحتشام باللباس الضّافي، ولبس أطهر الثياب وأحسنها عند الصلاة، والتطيب بالعطور والروائح الزّكية، والاعتدال في زينة اللباس والأكل والشُّرب:

﴿۞ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[2].

---

(١) يس، الآيتان ٦٠- ٦٢.

(٢) الأعراف، آية ٣١.




**المحور الثاني- التصديق برسالة محمّد ﷺ:**

دعا القرآن الكريم النَّاس إلى التصديق برسالة محمد ﷺ؛ لأنَّ الله أرسله لهم كافة، وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين، وقد جاء النِّداء الإلهي يبين للناس أنَّ الرسولَ محمداً ﷺ:

١- جاء بالدين الحق والشريعة السَّمحة من عند الله، فوجب تصديقه، والإيمان بما جاء به، فالخير في اتّباعه، والشر في الكفر به وتكذيبه، والله غني عن النَّاس، له ما في الكون ملْكاً وخلْقاً وعبيداً، وهو مطّلع على أحوالهم، وحكيم فيما دبره لهم:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(١) .

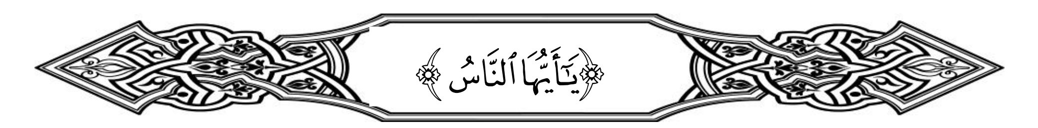
٢- جاء حجةً من الله، ومؤيداً بالمعجزات الباهرة، وقد أنزل الله عليه القرآن النور الوضّاء الذي لا نور للناس إلا به، ولا سعادة لهم إلا بالسير على هديه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾(٢).

٣- صاحب رسالة عامة لكل أهل الأرض، وأنه مرسل من الله مالك الكون، القادر على الإحياء والإماتة، ولا ربَّ ولا معبود سواه، ولذلك وجب

---

(١) النساء، آية ١٧٠.

(٢) النساء، آية ١٧٤.




التصديق بهذا النبي الأمي الذي يؤمن بالله، ويصدّق بالكتب المنْزلة، والذي جاء للهداية والصَّلاح:

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1].

٤- جاء نذيراً يخوف النَّاس الذين يستعجلون العذاب، يخوفهم من عذاب الله، ويحذّرهم من معصيته، من غير أن يكونَ له دخل في تعجيل العذاب أو تأخيره:

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[2].

٥- جاء رسولاً من الرُّسل الذين يهدون الأمم بما جاءوا به من أحكام وشرائع؛ لينالوا الأمن والفوز في الآخرة، أما من يعرض فله النار خالداً فيها:

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[3] .

---

(١) الأعراف، آية ١٥٨.

(٢) الحج، آية ٤٩.

(٣) الأعراف، الآيتان ٣٥، ٣٦.




**المحور الثالث- الاهتداء بالقرآن العظيم:**

صدح في القرآن نداء الله تعالى إلى النَّاس بأن يهتدوا بكتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي يهدي للتي هي أقوم، والذي هو آخر الكتب السَّماوية، فلا كتاب بعده، وجاء هذا النِّداء داعياً النَّاس إلى:

١- الاغتراف من معين هذا القرآن، وما يزخر به من فوائد عظيمة، ومن ذلك: أنّه وعظٌ من الخالق، وشفاء من الشّك والجهل، وهداية من الضَّلال، ورحمة لأهل الإيمان:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

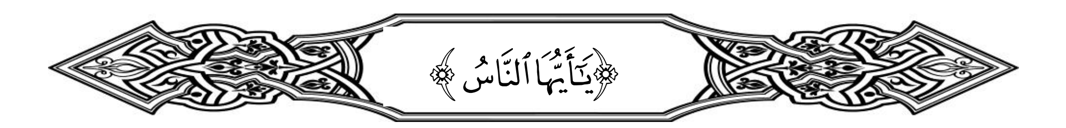
٢- العمل بهذا القرآن؛ لأنّه الحق الجامع لمحاسن الأحكام، فالسَّعيد من النَّاس من يستنير به، والشَّقي من يعرض عنه، وليس على النبي محمد إلا البلاغ، وما هو بحفيظ يحفظُ عليهم أعمالهم:

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾[2].

---

(١) يونس، آية ٥٧.

(٢) يونس، آية ١٠٨.




**المحور الرابع- الانتفاع بطيّبات الأرض:**

دعا القرآن الكريم النَّاس إلى الأكل من طيبات الأرض، واستطابة حلالها، والإفادة ممّا فيها من خيرات وكنوز ودفائن، وحذّرهم من اتّباع الشيطان بالاستنامة إلى خطَراته، أو مجاراة خطواته؛ لأنّه عدّوهم الحقيقي الذي يعكّر عليهم صفو الحياة، ويحرمهم من نعيم الآخرة.

وفي هذا النِّداء إشارة إلى أنَّ الأرض لجميع النَّاس، وليست حكْراً على طائفة منهم، وأنّهم شركاء في خيراتها ومياهها ومراعيها وكنوزها.

وفي هذا النِّداء إشارة إلى وجوب إعمار الأرض وزراعتها، والمشي في مناكبها، وابتغاء رزق الله فيها، وعدم إفسادها بالتخريب والتَّحريق:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(١).

(١) البقرة، آية ١٦٨.




**المحور الخامس- الشُّكر الدَّائم على النِّعم:**

وجه القرآنُ الكريم النَّاس إلى شَكر الله تعالى على نعَمه التي لا تُعدّ ولا تحصى، ولا تحدّ ولا تَستقصى، وما أَكثرها، وما أَعظمها!

ومن نِعمِه: نعمة الخلق، والحياة، والعقل، والعلم، والإيمان، والجوارح، والهواء، والغذاء، والماء، والدواء، والكهرباء، والزَّواج، والأولاد، والمساكن، والمراكب، والطُّرق، والأجهزة. ودعاهم إلى الشكر الدائم عليها، ومن صور ذلك:

١- الاعتراف بها، ومعرفة حقّها، وحفظها من الجحود، وإفراد الله المنعم بالعبادة، والاستدلال بها على توحيده، فالله هو خالق النَّاس، وهو رازقهم، والبشرية اليوم تبلغ ستة مليارات إنسان كُلّهم يتغذّون من نِعم الله، يطعمهم ويسقيهم ويكْسوهم، وأكثرهم يكفر بالله

سبحانه، ناهيك عن مليارات الكائنات الأخرى في الجو والبر والبحر:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾(١).

٢- الإقرار بالاحتياج إلى نِعم الله في كل شيء؛ والتيقّن أنَّ الله تعالى غني عن العالم على الإطلاق، وأنّه محمود على ما يسديه من النعم، وأنّه المستحق

(١) فاطر، آية ٣.




للحمد والثناء، وأنّه قادر على إفناء النَّاس وإهلاكهم، وخلق أناس آخرين غيرهم:

﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[1].

٣- التجمل والتزين بنعم الله، وذلك باستعمال اللباس لستّر العورة، وجمال القِوام، وهو لباس الظاهر.

أما لباس الباطن فهو التقوى، وتعني الورع والخشية من الله.

وفي إنزال اللباس آيات عظيمة دالة على فضل الله ورحمته على عباده:

﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[2].

وإنّك لتعجب من صنيع الحضارة الغربية المعاصرة التي أضحت حضارةً عارية في كل شيء: في أفكارها الإلحادية العلمانية، وفي اقتصادها الرأسمالي الرَّبوي المنهار، وفي ثقافتها الإباحية، وفي أفلامها ومسلسلاتها وإعلامها، وفي صورها ودعاياتها، وفي نسائها الكاسيات العاريات!

---

(١) فاطر، الآيتان ١٥-١٧.

(٢) الأعراف، آية ٢٦.

والعجب العجاب أنَّ بعض أبناء المسلمين يقلّدون هؤلاء الغربيين، ويعجبون بصرعاتهم وقُماتهم وعريهم. ويطّرحون ما عندهم من تقنية تنفع النَّاس. وما أجمل قول القائل:

| | |
| --- | --- |
| يــا ابنــتي إنْ أردت آيــةَ حُســنٍ | وجَمَــالاً يَــزين جســماً وعقــلا |
| فانبــذي عــادةَ التَّــبرُّجِ نبــذاً | فجمــالُ النفــوسِ أسمــى وأعلــى |
| يصــنع الصَّــانعونَ ورداً ولكــن | وردةُ الــرَّوضِ لا تُضــارِعُ شــكلا! |



**المحور السادس- التأمّل في عجائب المخلوقات:**

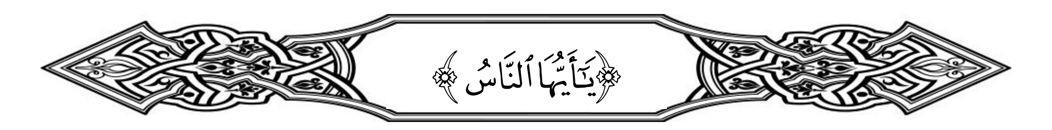
حرك القرآن عقول النَّاس، ودفعها إلى التأمل والتفكر في روائع الخلق، وعجائب المخلوقات، ودعاها إلى الاستماع والتدبر لمثل عجيب من أمثلة العلم الدقيق الدَّال على أنَّ ما يعبد من دون الله من حجر أو بشَر أو بقَر لا يقدر على خلق ذبابة على ضعفها، ولو اجتمعوا وتعاونوا، بل إنَّ الذباب لو اختطف منهم شيئاً من الطِّيب مثلاً أو أي مادة فلا يستطيعون استرجاعه منه، وقد ضَعف العابد والمعبود.

وسرٌّ ذلك أنَّ الذباب يفرزَ عصارة هاضمة على المادة التي يسلبها، وتبدأ هذه المادة بالتحلّل إلى مواد بسيطة التركيب، ثم تدخل إلى الأنبوب الهضمي في الذباب، فيتم امتصاصها، وتسري في الدورة الدموية، ويتحول جزء منها إلى طاقة تمكّن الذباب من الطيران، ويتحول جزء آخر إلى خلايا وأنسجة ومكونات عضوية، ويتحول الجزء الأخير إلى مخلّفات يتخلص منها جسم الذباب، وبذلك تتغير ماهيةَ المادة المسلوبة وطبيعتها كلياً.

فأين المادة المسلوبة؟ وما السبيل إلى استرجاعها؟ ومن يستطيع أن يجمع الأجزاء التي تحولّت إلى طاقة الطيران، والأجزاء التي تحولّت إلى أنسجة؟! من يستطيع؟[1]

ولو بذل العباقرة جهدهم في سبيل استعادتها فلن يستطيعوا، فكيف يليق أن تتخذ تلك المعبودات آلهة من دون الله؟ هذا هو نداء الله تعالى إلى النَّاس:

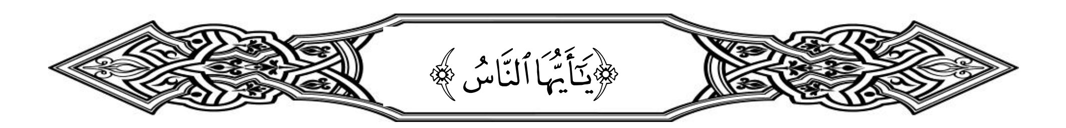
(١) شبكة المعلومات (الإنترنت): موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن www.aldajwa.orq




﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾[1].

---

(١) الحج، آية ٧٣.




**المحور السابع- تحمّل المسؤولية:**

يقرر القرآن أنَّ كلَّ إنسان مسؤول عن عمله، ويتحمل عاقبته، وسيحاسب عليه يوم القيامة، فيخاطب النَّاس جميعاً وبخاصة الجاحدين، ويحذرهم تحذيراً شديداً من الوقوع في حبائل الشيطان، ويحملهم المسؤولية الكاملة، وذلك في أمرين هما:

**١- التمادي في الشّر والطغيان:**

يبين القرآن أنَّ من مسلك النَّاس الجاحدين أنّهم إذا أنقذهم الله من الشَّدائد، وخلّصهم من المهالك، ونجّاهم من الضيق، وكشف عنهم الكَرب، رجعوا إلى الكفر والعصيان، وتمادوا في الشر والطغيان، وأفسدوا وعصوا، ودعوا غير الله.

والقرآن يخاطب هؤلاء النَّاس، ويحملهم مسؤولية أعمالهم، ويبين أن وبالَ البغي سيرجع عليهم، ولا يجني ثماره المرَّة إلا هم، وستكون شهوات دنياهم حسرات عليهم يوم القيامة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1].

(١) يونس، آية ٢٣.




## ٢- الوقوع في حبائل الشيطان:

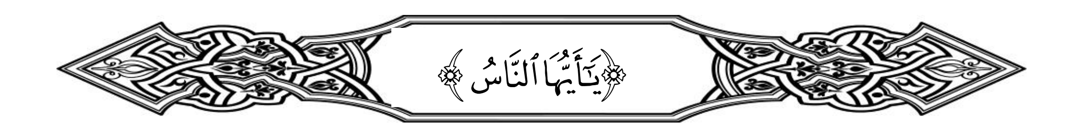
يرغّب القرآن النَّاس في استخلاص العبر مما وقع لأبويهم آدم وحواء في الجنة عندما أغراهما الشيطان بالأكل من الشجرة، فأخرجهما من الجنة، ونزع عنهما لباسهما، فظهرت لهما عوراتهما بعد السَّتّر والاحتشام.

ويحذّر القرآن النَّاس من الوقوع في حبائل الشيطان، أو الاستجابة لوساوسه وأوامره، فإنَّ هدفه أن يهتك السَّتر عن النَّاس، ويعريهم من الفضائل، وهو وجنوده يبصرون النَّاس، ويترصدون لهم، وهم أولياء للكافرين، فحذارِ حذارِ من الشيطان:

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1].

---

(١) الأعراف، آية ٢٧.




**المحور الثامن- إعداد الطاعة لأهوال الساعة:**

هذا نداء قرآني يحمل الإنذار والتخويف للناس، ويدعوهم إلى التزود بالطاعة للزلزال العنيف زلزال قيام السَّاعة الذي تظهر أهوالُه وشدائدَه في هذه الصور المخيفة:

١) دكّ الحصون والدُّور والقصور والقُرى والمدن.

٢) تدمير كل ما في الكون من أجرام ونجوم وبحار وجبال وأرض وسماء.

٣) ذهول كل مرضعة عن طفلها الحبيب إلى قلبها؛ إذ تَنْزع ثَدْيها من فمه، وتنشغل عنه بالفزع في ذلك اليوم الرهيب العصيب.

٤) إسقاط الحوامل لما في بطونهن من شدّة الخَطْب الجسيم.

٥) ترنّح النَّاس وتمايلهم كأنّهم سكارى من الخمر، وما بهم شيء من السُّكر، ولكنه الهول الذي نزل بهم قد أطار عقولهم، وسلب أفكارهم، فهم في خوف من عذاب الله تعالى.

هنا يأتي نداء الله ليذكّر النَّاس بهذه الزَّلزلة التي ستعصفُ بهم، ويدعوهم إلى تقواه بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والمسارعة في الخيرات:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا




وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[1].

**المحور التاسع- الإيمان بالبعث والنشور:**

بيّن القرآن أنَّ مصير النَّاس واحد، فهم سيموتون جميعاً، وسيرجعون إلى ربّهم بعد موتهم، وسيحاسبون على ما كان منهم، وبين أنَّ البعث حق يجب الإيمان به، وقرر القرآن:

**١- حتمية البعث بعد الموت:**

ودليل ذلك أنَّ الله خَلق الإنسان في أطوار مختلفة، وأنَّ حياة النَّاس على الأرض ليست دائمة، وإنّما هي محدودة بآجالهم، وأنَّ النَّاس جميعهم سيموتون، ويبعثون كما تحيا الأرض بعد همودها بالماء والنبت البهيج.

وهو مشهد يتكرر دائماً أمام نواظر النَّاس، فلا تخطئه عيونُ العقلاء، فما أكثر ما يحل الخريف فإذا الأرض جرداء، وما أكثر ما ينْزل المطر فإذا الأرض حيةٌ بعد موت، خضرةٌ بعد يبس وشحوب:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ

---

(١) الحج، الآيتان ١، ٢.




وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾[1].

### ٢- صدق وعد الله بالبعث والجزاء:

وهذا نداء آخر من رب النَّاس إلى النَّاس يقرر فيه أنَّ وعد الله بالبعث والجزاء حق ثابت لا محالة، ويحذرهم من أن تلهيهم الدنيا بزخرفها ونعيمها عن الحياة الآخرة، ويحذّرهم من أن يخدعهم الشيطانُ بكيده المعسول:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾[2].

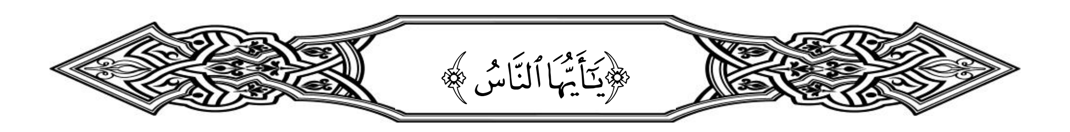
### ٣- وجوب العمل لما بعد الموت والبعث:

يدعو القرآن النَّاس إلى اغتنام الحياة بالأعمال الصالحة لمواجهة ذلك اليوم العصيب يوم الحشر والنشور يوم لا ينفع والدٌ فيه ولده، ولا يدفع عنه مضرة، ولا ولدٌ ينفع والده، ولا يقضي عنه شيئاً من جنايته ومظالمه، فلا تنفع شفاعةُ أحد لأحد، فوعد الله حق بالبعث والجزاء، والثواب والعقاب، وقد وجب الحذر من الدنيا ومفاتنها، ومن الشيطان وخداعه وغُروره:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ

(١) الحج، آية ٥.

(٢) فاطر، آية ٥.





ٱلْغَرُورُ﴾[1].

ونلحظ في الآيات أنَّ القرآن الكريم ربط بين وحدة أصل النَّاس ووحدة مصيرهم؛ وفصَّل مراحل خلقهم، وبين أحوال معيشتهم؛ ليدلّ على أنّ ربَّهم واحد، وأنّهم شاكلةٌ واحدة، وأنّ عليهم أنْ يدركوا أنّ حياتهم مشتركة، لا تحتمل التصارع والتقاتل، بل تسع التحاور والتواصل.

(١) لقمان، آية ٣٣.




**المحور العاشر- التواصل الحضاري بين النَّاس:**

دعا القرآن الكريم النَّاس أجمعين إلى التوحد والتقارب، والتواصل والتحاور، ونبذ التخالف والتباغض، وبيّن أنَّ ما يجمعهم أكثر ممّا يفرقهم، وقد صدع الذكر الحكيم بهذا النِّداء الكريم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(1).

والمشترك الذي يجمعهم هو:

- أنّهم جنس بشري واحد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾.
- أنّ خالقهم واحد: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم﴾.
- أنَّ أصلهم واحد من أب واحد، وأمّ واحدة: ﴿مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾.
- أنَّ التنوع هو عامل وحدة، وغايته التعارف والتآلف: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾.

وقد استوحى الشاعر "أحمد شوقي" نداء القرآن للتوحد في قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾(2).

---

(1) الحجرات ، آية ١٣.

(2) آل عمران، آية ١٠٣.



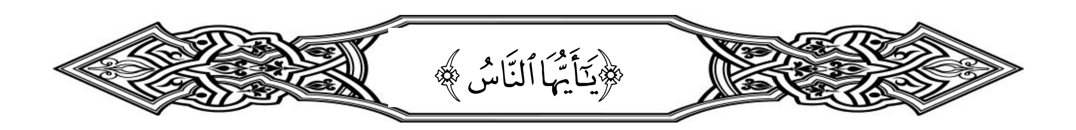

فدعا العمال إلى تجسيد الوحدة والتعاون بإفناء العمر في البناء والإعمار من أجل رخاء الإنسانية، كما دعاهم إلى استلهام المسيرة الحضارية لجدودهم الذين بهروا العالم بمنجزاتهم:

| | |
|---|---|
| أيُّها العمَّالُ أفنوا ال | عَمر كدّاً واكتسابا |
| واعمروا الأرض فلولا | سعيكم أمسَت يبابا |
| إنَّ لي نصحاً إليكم | إنْ أذنتم وعتابا |
| أينَ أنتم من جدود | خلدوا هذا الترابا |
| قلّدوه الأثر المعجَ | زَ والفنَّ العجابا |
| وكسوه أبدَ الدهـ | ـرِ من الفخر ثيابا |
| أتقنوا الصنعةَ حتى | أخذوا الخَلدَ اغتصابا[1] |

وقد رسم هذا النِّداء القُرآني العالمي معالِمَ حضارية راقية للمجتمع الإنساني تتجلّى فيما يلي:

---

(١) الشوقيات، أحمد شوقي، تحقيق: د. عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت، د.ط، د.ت، ج١، ص ١٣٦.



### ١) وحدة الأصل والمصير:

بيّن القرآن الكريم في خطابه للناس أنّ الله تعالى خلقهم من نفس واحدة، هي نفس أبيهم آدم، وأوجد من تلك النفس الواحدة زوجها وهي حواء، ونشر من آدم وحواء خلائق كثيرين ذكوراً وإناثاً في أنحاء الأرض:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[1].

ومن توجيه هذا الخطَاب إلى النَّاس:

- أنَّ أصلهم واحد، فهم مخلوقون من ذكر وأنثى؛ فلا مزية لأحد على أحد.
- أنَّ خالقَهم هو الله؛ وعليهم أنْ يطيعوه ويخافوه، فهو مطّلع على أعمالهم وأحوالهم.
- أنَّ نسبهم واحد؛ فهم إخوة في رابطة الإنسانية.
- أنّ عليهم رعايةَ أرحامهم وصلتها والتواصل معها.

والمتدبر لخطاب القرآن يجد أنّه خطاب يصلح حياة النَّاس في دنياهم، ويعدّهم للحياة الحقيقية في الآخرة، ويؤكّد أنَّ النَّاس أجمعين سيصيرون إلى هذا المصير، فلذلك يحفل بتثبيت التلازم بين الإيمان بالله واليوم الآخر في آيات

(١) النساء، آية ١.



كثيرة[1].

وقد احتفى القرآن بالنوع الإنساني بشقيه الذكر والأنثى، وقرر حقوقاً كثيرة للأنثى، وحملت سوره الكريمة اسم "النساء" و "مريم"، ومن تلك الحقوق: المساواة في أصل الخِلْقة والنشأة، والمساواة في التكريم، والمساواة في التكليف الشرعي والجزاء الأخروي، والمساواة في أهلية التصرفات المالية والتعاقدات التجارية، ولم يجعل العرفَ الفاسد، أو العادات الجائرة ميزاناً للتعامل معها، وتقرير حقوقها وواجباتها[2].

واستلهم أبو العلاء المعري هذا الخطَاب القَرآني الذي يؤكّد وحدة مصير النَّاس، وضمن رسالة أدبه رثاء شجياً للإنسانية بأبيات قالها في رثاء الفقيه الحنفي أبي حمزة ، تعدّ من روائع الأدب العالمي:

| | |
|---|---|
| غيرُ مُجدٍ في ملّتي واعتقادي | نوحُ باكٍ ولا ترنُّمُ شادِ |
| وشبيهٌ صوتُ النَّعيِّ إذا قيـ | ـس بصوت البشير في كلِّ نادِ |
| صاحِ هذي قبورنا تملأُ الرَّ | حبَ فأين القبورُ من عهد عادِ |

---

(١) انظر: الخطَاب القُرْآنّي المعاصر، د. جمال نصّار حسين، دار الإسراء- الأردن، ط١، ٢٠٠٠م، ص ١٠٣- ١١٣.

(٢) انظر: إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، س ١٠، ع ٣٧، ٣٨، ١٤٢٥هـ٢٠٠٤م، (المرأة العربية بين أعراف مجتمعها وثوابت الإسلام)، أمة الإسلام أحمد، ص١٥٥ — ١٨٠.



| | |
|---|---|
| خفّف الوطْءَ ما أظنّ أديم ال | أرض إلا من هذه الأجساد |
| تعبٌ كلُّها الحياةُ فما أعـ | جب إلا من راغبٍ في ازدياد |
| خُلقَ النَّاس للبقاء فضلّتْ | أمّةٌ يحسبونهم للنَّفاد |
| إنّما ينْقلونَ من دار أعما | لِ إلى دارِ شقْوة أو رشاد[1] |

## ٢) إعلاء كرامة الإنسان:

كان الإنسانُ قبل تَنَزُّل القرآن متاعاً يشترى ويباع، ويهان ولا يصان، وكان مسلوب الإرادة يتحكّم فيه الأغنياء والأقوياء، حتى إذا نزل القرآن جاء خطابه الحضاري معلياً مكانة الإنسان، ومحقّقاً سيادته، ومقدّراً قيمته:

﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۞ ﴾[2].

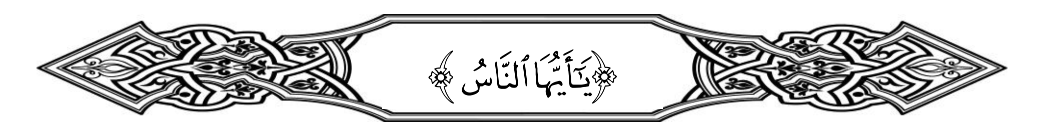
وتمثّل إعلاء كرامة الإنسان في الخطَاب القَرآني بالمنح الربانية التي كُرِّم بها، ومن ذلك:

جعل الإنسان سيد الكون، وخليفةً في الأرض، وإمداده بالعقل والعلم،

---

(١) شرح سقط الزند، أبو العلاء المعري، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م، ج٣، ص ٩٧١.

(٢) الإسراء، آية ٧٠.



وتسخير الأشياء له كالمراكب التي تساعده على التنقّل في البر والبحر، والوسائل التي تسهل عليه العيش، والإنعام عليه بالخيرات الوفيرة من ماء عذب، وأطعمة طيبة، وفاكهة لذيذة، وثمار شهية، وتفضيله على المخلوقات، فهو أشرفها، وأعلاها قدراً.

وتمثّل إعلاء كرامة الإنسان في تحريره من كل شيء مسخ كيانه، وأذلّه وأهانه: تحريره من الخرافة والأساطير، وتحريره من الرق وعبادة الكائنات، وتحريره من العادات القبيحة، والتقاليد البالية، والأعراف الكريهة.

ومفهوم كرامة الإنسان في الخطَاب القُرآني أدقّ وأشمل من مفهوم حقوق الإنسان؛ فالكرامة مستمدةٌ من الخالق سبحانه وتعالى، فلا تباع ولا تشترى، ولا تُستجلب ولا توهب، ولا يتنازل عنها، أما الحقوق فيمكن أن يتنازل عنها، ويمكن أن تُستجلب.

ولا فرق في الكرامة بين الرجل والمرأة، فللمرأة تقدير عظيم في القرآن الكريم.

ولهذا تجد مفهوم الكرامة حياً في الحياة الإسلامية، وينبغي أن يكون حياً في الحياة الإنسانية، فكلما حاول أحدٌ أنْ يسلب حرية غيره دوَّت صرخةٌ عمرية في وجوه الظالمين: "متى استعبدتم النَّاس، وقد ولدتهم أمهاتُهم أحراراً".

ولم يدع القرآن إقرار الحقوق لإرادة الإنسان التي قد تعصف بها الأهواء، وإنّما جعل تلك الحقوق حقّاً وواجباً معاً، فالإنسان مسؤول أمام الله تعالى عن ممارسة هذه الحقوق، والمجاهدة في سبيل إقرارها وحمايتها.

ولم يجعل تلك الحقوق وصايا أخلاقية، أو مبادئ مثالية، وإنّما ربى الإنسانَ عليها، وأقام الوازع الداخلي لمراقبتها، ورتّب الحساب الأخروي عليها، وجعل تلك الحقوق وحماية الإنسانية محور

مقاصد الشريعة، والغاية من النبوة[1].

وقد تردد صدى الخطَاب القَرآني في نفوس الأدباء الذين تلقَّوه إيماناً بقَيمه وقيمته، فبثّ فيهم العزة والهمة العالية، وانتزع من نفوسهم الاستكانة والاستخذاءَ وحرم عليهم الانحناء لغير الله، يقول الإمام الشافعي (٢٠٤هـ):

أنا إنْ عشت لست أعْدَم قوتاً ... وإذا متُّ لست أعْدَم قبرا

همّتي همّةُ الملوك ونفسي ... نفس حرٍّ ترى المذلَّةَ كفرا

وإذا ما قنعتُ بالقوت عمْري ... فلماذا أزور زيداً وعمراَ! [2]

وقد تأثّرت رسالةَ الأديب عبد الله بن المقفّع بهذا الخطَاب القَرآني في كتابه المترجم عن الفارسية "كليلة ودمنة" الذي وشّحه بالأسلوب البياني القَرآني، وتَرجم من العربية إلى عدّة لغات عالمية، وينطوي هذا الكتاب على رسالة واحدة جاءت

(١) انظر: حقوق الإنسان في ضوء الحديث النبوي، يسري محمد أرشد، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف، قطر، السنة ٢٦، العدد ١١٤، رجب ١٤٢٧هـ، ص ٢٩-٣٠.

(٢) ديوان الشافعي، محمد بن إدريس الشافعي، جمعه وعلّق عليه: محمد عفيف الزعبي، مؤسسة الزعبي، ودار الجيل، بيروت، ط٣، ١٣٩٢هـ١٩٧٤م، ص ٤٢.




عبر الرمزية في تخاطب الحيوان هي تقدير الإنسان بما يملك من عقل وسداد رأي، وتخليصه من الظلم، ورعاية حقوقه.

يقول في باب الأسد والثور: "وأحبَّ دمْنة أن يري القوم أنَّ ما نال من كرامة الملك (الأسد) إنّما هو لرأيه ومروءته وعقله؛ لأنّهم عرفوا قبل ذلك أنَّ ذلك لمعرفته أباه، فقال: إنَّ السلطانَ لا يقرب الرجال لقرب آبائهم، ولا يبعدهم لبعدهم، ولكن ينبغي أنْ ينظر إلى كُل رجلٍ بما عنده"[(١)].

## ٣) تنوّع الثقافات وتعدّد الحضارات:

نصَّ القرآن الكريم على تنوع البشر، وتعدّد الأمم، وأنَّ هذا التنوع هو من صنع الله وإرادته، وأنَّ لهذا التنوع هدفاً سامياً هو التعارف والتآلف:

﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾[(٢)].

وبين القرآن الكريم أنّ اختلاف اللغات والألوان والأعراق هو آيةٌ للعقلاء المتدبرين، وهو طبيعةٌ من طبائع النَّاس، وسنّة كونية من سنن الله تعالى:

﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴾[(٣)].

---

(١) كليلة ودمنة، ابن المقفّع، المكتبة الحديثة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت. ص ٨٩.

(٢) الحجرات، آية ١٣.

(٣) الروم، آية ٢٢.




ونصَّ القرآن على أنَّ الله لو أراد أن يجعل النَّاس على ملّة واحدة لجعلهم، ولكنَّ حكمته اقتضت أن يكونوا مختلفين على أديان شتّى، ومِلَل متعددة، ومذاهب متفرقة، وآراء واجتهادات، ولأجل الاختلاف خلقهم[1].

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾[2].

وفي النِّداء الإلهي للناس ملامح حضارية بارزة منها:

- وجوب الإقرار بتنوع الثقافات، وتعدّد الحضارات نتيجةً لتنوع الشعوب والقبائل.
- وجوب احترام هذه الثقافات المتنوعة، والحضارات المتعددة.
- ضرورة التواصل مع هذه الثقافات والحضارات بالحوار، والإفادة من منجزاتها الإنسانية.
- عدم هيمنة ثقافة على ثقافة، أو تسلّط حضارة على حضارة.
- رعاية الخصوصية الثقافية والحضارية: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ

(١) انظر: مختصر تفسير ابن كثير، ج٢، ص ٢٣٦-٢٣٧.

(٢) هود، الآيتان ١١٨-١١٩.



﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1].

فكما أنَّ الخطَاب القُرآني يمنع الإكراه الديني ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾[2] فإنّه يمنع الإكراه الثقافي والحضاري، ويدعو إلى الحفاظ على خصوصية الأمم التاريخية:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[3].

والحضارة تتعدّد وتنتقل بين الأمم، ولم تثبت عبر عصور التاريخ في مكان واحد، ولا دامت لقوم وحدهم، فهي كسلعة الذهب تمر بأيدي النَّاس جميعاً، وقد ترجع إلى اليد التي ذهبت منها بعد أن تطوف الكرة الأرضية، فهي متاع مشاع يَكْسبه مَن قدر على الاحتفاظ به عهداً، حتى إذا خارت قواه تخلّى عنه للأصلح[4].

والقرآن في خطابه لا يغمطُ الحضارات السابقة حقّها، بل يرشدَ إلى دراسة آثارها ومعرفة مخلّفاتها الحضارية، فيدعو إلى السير في الأرض:

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا

---

(١) المائدة، آية ٤٨.

(٢) البقرة، آية ٢٥٦.

(٣) البقرة، آية ١٣٤.

(٤) انظر: الرسالة الخالدة، عبد الرحمن عزام، المطبعة الوطنية، عمان، ط٢، ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م. ص ٢١٤- ٢١٥.



وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ ﴾[1].

والغاية من دعوة القرآن إلى السير في الأرض هي إيقاظ القلوب، وتنوير البصائر، ومناجاة هذه الآثار والأطلال الباقية، ومشاهدة آثار قدرة الله في عقابه للمجرمين، وإنجائه للصالحين، وتعرف القيم الحقيقية التي تطيب بها الحياة وتعمر[2].

وفي ظلال هذا الخطاب القرآني يعبر الشاعر "هاشم الرفاعي" عن التنوع الثقافي والحضاري من خلال أبيات يشير فيها إلى التواصل والتهادي بين حضارتين، حضارة المسلمين وحضارة الصين:

عُدْ لتاريخك وانشُدْ قَبساً ... من سناً بدّد ليل الحقب
كيف لا أذكر أجداداً لهم ... فتكةُ الإعصار عند الغَضَب
وجواداً قبلت حافره ... لجةُ البحر تجاه المغرب

---

(1) الحج، الآيتان ٤٥، ٤٦.

(2) انظر: صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي، د. محمد علي الصَّلابي، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، ج١، ص ٦٣-٦٥.

وملـــوكُ الصـــين تهـــدي تربَهـــا     لفتانـــا في صـــحاف الـــذّهبِ[1]!

والشاعر يشير إلى قَسم القائد "قُتيبة بن مسلم" بأن تطأ قدماه أرض الصين، وأن يجبي خراجها، فأرسل له ملكُ الصين الخراج، وصحيفةً من الذهب فيها تراب؛ لكي يبرَّ بقسمه.

أما الشّاعر"عَزيز أباظة" فيشير في مسرحية "غروب الأندلس" إلى أنَّ حضارات العالم المعاصر، ولا سيما حضارة الغرب قد اقتبست من مشكاة الحضارة الإسلامية، ونهلت من علومها وفنونها:

عشـــنا طلائـــع للـــورى فعلومنـــا     وفنونُنـــا شـــرَعٌ لهـــم ومصـــادر[2]!

### ٤) التعارف والتآلف:

صرَّح القرآنُ الكريم بالغاية من جعل النَّاس شعوباً وقبائل، وتلك الغاية هي التعارف والتآلف. وهي غايةٌ سامية توحد ولا تفرق، وتجمع ولا تشتّت، وهي الحبل السُّري الذي يربطُ الإنسانية، والسَّبيل للتفاهم وحل المنازعات:

﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾.

ثمَّ بين القرآن الكريم في مواضع مختلفة مظاهر هذا التعارف، ومن ذلك:

---

(١) ديوان هاشم الرفاعي، تحقيق: محمد حسن بريغش، مكتبة المنار، الزرقاء، ط٢، ١٤٠٥ ١٩٨٥، ص ٣٧٥-٣٧٦.

(٢) مسرحية غروب الأندلس، عزيز أباظة.



أ. **التعاون على البر والتقوى:**

وهو الإجراء العملي لمفهوم التعارف، حيث يجتمع النَّاس للإسهام في عمل الخير، وإعمار الأرض، وتحقيق العبودية لله تعالى، وهو تعاون محمود، أما التعاون المذموم فهو التداعي إلى ارتكاب المعاصي، وإفساد الأرض بعد إصلاحها، والتعدي على النَّاس:

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ﴾(١).

ب. **التلطّف في المعاملة:**

ويقتضي التعارف بين النَّاس أنْ يعامل بعضَهم بعضاً بالأسلوب الحسن، والخلق الكريم، فلا خشونة في القول، ولا فجور في المخاصمة، وإنما لين في الكلام، وبشاشة في الوجه، وسماحة في البيع والشراء:

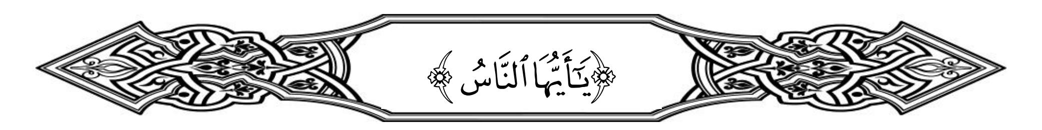
﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾(٢).

ولقد أكّدَ القرآن الكريم مفاهيم الحضارة ونماذجها الفاعلة؛ إذْ عبر عن الأفكار والمعاني باستعمال الألفاظ الحضارية مثل البيع والشراء، والكيل والميزان، قال تعالى:

---

(١) المائدة، آية ٢.

(٢) الكهف، آية ١٩.




﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾[1].

وكذا ضرب القرآنُ الأمثالَ بنماذج متطورة من إبداع الإنسان كالمدن، والقصور، والحدائق الغنّاء، تلك المظاهر التي ذهبت بسبب المعاصي والإفساد في الأرض[2].

﴿كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴿٢٦﴾ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾[3].

والحق "أنَّ في روح الإسلام من السماحة الإنسانية ما لا يملك منصفٌ أنْ ينكره أو يراوغ فيه، وهي سماحة مبذولة للمجموعة البشرية كلّها، لا لجنسٍ فيها، أو لأتباع عقيدة معينة، إنما هي للإنسان بوصفه إنساناً.

وعندما يؤدي الإسلام واجبه في هداية البشرية، وينهض بتكاليفه بدفع الظلم والفساد عنها، لا تبقى له سلطة تعسفية على فرد أو قوم، ولا تبقى في صدره إحنة على فرد أو جنس"[4].

---

(١) البقرة، آية ١٦.

(٢) انظر: الرسالة الخاتمة، عون الشريف قاسم، دار الجيل، بيروت، دار المأمون، الخرطوم، ط٢، ١٤١٠هـ١٩٩٠م، ص ٧٠.

(٣) الدخان، الآيتان ٢٧ -٢٥.

(٤) السلام العالمي والإسلام، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط ٧، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، ص ١٧٧.

**ج. التواصي بالحق والصبر:**

ومن أجل الحفاظ على إدامة التعاون، ومواصلة مسيرة البر والتقوى، والتصدّي لنوازع الشرّ وجب التواصي بالقيم السَّامية كالثبات على الحق، وفعل الخير، وأداء العبادة، ووجب التواصي بالصبر على شدائد الحياة، والصبر على الأذى، والصبر على ترك المحرمات.

والتواصي بالحق والصبر إستراتيجية تحفظُ المجتمع من الانهيار، وتَبقي على حيويته وقوته، وتحميه من الخسارة الفادحة: ﴿وَٱلْعَصْرِ ① إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ② إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[1].

وقد استوحى الأدباء والكتاب من هذا المفهوم الحضاري القُرآني (التعارف) استوحوا حِكَماً تدعو إلى التكاتف والمساعدة، وتدعو إلى الإيثار الإنساني، يقول أحدهم:

النَّاس للناسِ من بدوٍ وحاضرةِ ... بعضٌ لبعضٍ وإنْ لم يشعروا خَدَمَ

**ويقولُ آخر:**

فلا نزلَتْ عليَّ ولا بأرضي ... سحائب ليس تنتظم البلادا

وهذا المفهوم القُرآني (التعارف) هو الذي أوحى لابن خلدون (٨٠٨هـ) أن

(١) العصر، آية ١٣.



يتفوق في علم الاجتماع، ويضع نظريته في ضرورة الاجتماع الإنساني ويبين:

"أنَّ الاجتماعَ الإنساني ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم: الإنسان مدنيٌّ بالطبع، أي لا بدَّ له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم، وهو معنى العمران، وبيانه أنَّ الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وركّبه على صورة لا يصحُّ حياتُها وبقاؤها إلا بالغذاء، وهداه إلى التماسه بفطرته.. إلا أنَّ قدرة الواحد قاصرةٌ عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء.. فلا بدَّ في ذلك كُلّه من التعاون عليه بأبناء جنسه، وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء"(1).

وقد حفّز هذا المفهوم الحضاري عدداً من العلماء المسلمين إلى التَّجوال في العالم، والاطلاع على ثقافات الشعوب، وعاداتهم وتقاليدهم، وتدوين مشاهداتهم، وكان من هؤلاء العلماء:

ابن حوقل (٣٨٠هـ) الذي جاب العالم الإسلامي في ثلاثين سنة، وكتب كتابه "المسالك والممالك". والمقْدسي (٣٨٠هـ) صاحب كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم". وابن جبير (٦١٤هـ) الرحالة الأندلسي الذي تتلمذ على أبيه، وعني بالأدب، وبلغ الغاية فيه، والذي رحل من غرناطة إلى المغرب ومصر والجزيرة والشام والعراق وصقلية. وابن بطّوطة (٧٧٩هـ) الرحالة، المؤرخ، الشاعر الذي طاف بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق واليمن والهند والصين، وأواسط

(١) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون (٨٠٨هـ)، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت. ص ٤٦-٤٧.

إفريقية، واستغرقت رحلته سبعةَ وعشرين عاماً جمعها في كتابه "تُحفة النّظار"[1].

### ٥) محاربة التمييز العنصريّ:

حمل القرآنُ الكريم حملةً عنيفةً على أشكال التمييز كُلّها، وحرم التفاضل على أساس العرق، أو اللون، أو النَّسب والحسب، أو المال والذّهب، أو اللغة والثقافة، أو الجاه وَالنفوذ، ولم يجعل القرآنُ ميزاناً للتفاضل إلا ميزاناً واحداً هو التقوى:

﴿وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾[2].

ومن مظاهر محاربة القرآن لأشكال التمييز العنصري:

#### أ. النهي عن الأنانية والتفاخر بالنفس:

ذلك لما في الأنانية والتفاخر بالنفس من تعاظمٍ على النَّاس، ومبالغة في تصوير المحاسن، وتكبُّر على الخَلْق، وجحود لفضل الله الذي خلق الإنسان، وأخرجه من بطن أمه لاً يعلم شيئاً:

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[3].

---

(١) انظر: دراسات في التراث الجغرافي العربي، د. صباح محمود محمد، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م، ص ٤٣-٥١.

(٢) الحجرات، آية ١٣.

(٣) النجم، آية ٣٢.

والقرآنُ الكريم إذ ينهى عن الأنانية والتفاخر بالنفس يضرب أمثلة للذين دوّتْ في نفوسِهم صيحةُ ﴿أَنَا۠﴾ فأهلكتهم، وأورثتهم الخزي والعذاب، ومنهم إبليس الذي فَضل نفسه على آدم:

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾(1).

ومنهم فرعون الذي كان يتكبر ويتجبر، ويخاطب النَّاس من وراء حجاب، ويدّعي الألوهية: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾(2).

ومنهم قارون الرَّجل الثَّري الذي آتاه الله مالاً عظيماً فأسرف وبغى على قومه، وادعى أنّه حصله بذكائه وخبرته وعلمه:

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾(3).

ب. **النهي عن احتقار النَّاس والتطاول عليهم:**

نهى القرآنُ الكريم عن كل ما يؤذي مشاعر الإنسان مسلماً كان أو غير مسلم من سخرية باللسان، أو لَمزٍ بالعين، أو تنابز بالألقاب، أو اتهام بسوء الظنّ، أو تجسّس، أو تعدٍّ على ممتلكاته، أو تطاولٍ على ذاته:

---

(1) الأعراف، آية ١٢.

(2) النازعات، الآيتان ٢٣-٢٤.

(3) القصص، آية ٧٨.



- ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[1] .

- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[2] .

**ج. محاربة الرق والاستعباد والاستضعاف:**

حرم القرآن الرق واستعباد النَّاس، وضرب للناس مثلاً بمجرم عالمي استبدَّ في حكمه، فظلم وتجبر، وانتهك حقوق الإنسان، وارتكب جرائم إبادة جماعية، ومارس التمييز العنصري ضد طائفة من شعب مصر، وصرح القرآن باسم هذا المجرم الطاغية، وشنع على فعله: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾[3].

وقد أثمرت دعوة القرآن في محاربة التمييز العنصري، وأنبتت مجتمعاً إنسانياً رائعاً هو مجتمع الصَّحابة الكرام الذي تنوعت فيه الأعراق والأنساب واللغات، واجتمع فيه أبو بكر العربي مع سلمان الفارسي، وصهيب الرومي، وبلال الحبشي، لا فضل فيه لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود، ولا لرجلٍ على امرأة.

---

(١) لقمان، آية ١٨.

(٢) الحجرات، آية ١١.

(٣) القصص، آية ٤.

وإنّك لتعجب من مجتمع الصَّحابة الكرام الذي خلا من التمييز العنصري على حين يقرر علماء الاجتماع أنَّ الطبقية قد حدثت في كل مجتمع عرفه الإنسان حتى تلك المجتمعات الصغيرة كالأسكيمو والأقزام الإفريقية وسكان أستراليا الأصليين، وتكون في تلك المجتمعات أدنون وأعلون(١).

أما المجتمعات التي لم تشع فيها أنوار القرآن فتعاني من التعصب الذي يعدّ من أشدّ ما يقاسي منه إنسان هذا العصر، وأخطر ما يؤذيه، حتى إنّه قد أصبح معياراً أو عرفاً اجتماعياً ليس من السهل تغييره أو مقاومته، فيؤدي إلى إفساد العلاقة بين النَّاس(٢).

ويبذل علماء النفس والاجتماع جهوداً كبيرة للحدّ من التعصب، ويطورون مجموعة من الطرق والأساليب التي يمكن أن تعالج جذوره، ومنها الاتصال المباشر بين الجماعات، والبرامج التربوية، والمشاركة في صنع القرار، والعلاج النفسي(٣).

ولقد ظلَّ التنوع الديني والفلسفي والمذهبي والفكري في الحضارة الإسلامية شاهداً صادقاً على الثورة الإصلاحية التي أنجزها الإسلام في ميدان الحرية وتحرير ضمير الإنسان، بينما ضاقت حضارات أخرى حتى بالاختلاف المذهبي داخل

---

(١) انظر: بنو الإنسان، بيتر فارب، ترجمة زهير الكرمي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، ص ٣٥٦ وما بعدها.

(٢) وانظر: سيكولوجية العلاقات بين الجماعات، د. أحمد زايد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ٢٠٠٦م، ص ٨١.

(٣) انظر: المصدر السابق نفسه، ص ١٢١– ١٢٦.



الدين الواحد، فقامت فيها الحروب الدينية التي امتدت قروناً، والتي أبيد فيها نحو أربعين في المائة من شعوب وسط أوربا، وذلك فضلاً عن المآسي الدموية لمحاكم التفتيش(1).

وقد اتضح أنَّ الخطَاب القُرآني يحارب كُلَّ الاعتبارات التي تؤدي إلى التمييز أو التفريق بين النَّاس، يحارب الكبر والتعالي، والطغيان الماليَ، والاستبداد السياسي، ولا يمتدح الغني لغناه، أو القوي لقوته، ولا يذم الفقير لفقره، أو الضَّعيف لضعفه.

أما الخطَاب الآخر فقد أفرز ما يسمى اليوم بالاستبعاد الاجتماعي الذي يقسم النَّاس إلى طبقات، ويمنع فئات منهم من المشاركة في صنع القرار، ومداولة السلطة، وارتقاء المناصب، والاستفادة من الثروة؛ ممّا أدى بهم إلى العزلة الاجتماعية كالحال الذي كان عليه نظام الحكم السابق في جنوب إفريقيا، وهو نظام للفصل العنصري قامت فيه قلّة من البيض باستبعاد بقية السكان من الوصول إلى أهم المناصب التعليمية والمهنية والسياسية(2).

وقد نهل الشَّاعر إيليا أبو ماضي من ينبوع هذا المفهوم الحضاري القُرآني؛ إذ تثقّف بالثقافة العربية، وتأثّر بالمفاهيم الإسلامية، فأنشأ قصيدة "الطين" التي تعدّ

(1) انظر: إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، س ٨، ع ٣١- ٣٢، ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م، (حرية الأقليات غير المسلمة في العالم الإسلامي)، د. محمد عمارة، ص ١٢٢.

(2) انظر: الاستبعاد الاجتماعي، جون هيلز ورفاقه، ترجمة د. محمد الجوهري، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ٢٠٠٧م، ص ٤٩.

واحدةً من روائع الأدب الإنساني، وفي مضمونها دعوةٌ إلى التآخي والمساواة، ومقاومة لأشكال التمييز العنصري:

| | |
|---|---|
| نَسي الطينُ ساعةً أنَّه طينٌ | حقيرٌ فصالَ تيهاً وعَربَدْ |
| وكسا الخَزُّ جسْمَهُ فتباهى | وحوى المالَ كيسه فتمرَّدْ |
| يا أخي لا تملْ بوجهك عني | ما أنا فَحمةٌ ولا أنت فَرقَدْ |
| قمرٌ واحدٌ يُطلُّ علينا | وعلى الكُوخِ والبناء الموطَّدْ |
| النجوم التي تَراها أراها | حين تخفى وعندَما تتوقَّدْ |
| أنتَ مثلي من الثَّرى وإليه | فلماذا يا صاحبي التيه والصَّدّ |
| لا يكنْ للخصام قلبُكَ مأوى | إنَّ قلبي للحبِّ أصبح معبدْ |
| أنا أولى بالحبِّ منكَ وأحرى | من كساء يبْلَى ومَال ينَفدْ[1]! |

### ٦) التخلّق بأدب الاختلاف:

اعتنى القرآن الكريم عنايةً فائقةً بأدب الاختلاف؛ لأنَّ الاختلاف بين النَّاس إذا لم يُجمَّل بالخلق الحميد، والأدب الرقيق فإنّه يهز أركان المجتمعات، ويزعزع الثقة بين الأمم، ويفسد السلم العالمي؛ فيؤدي إلى التشاحن والتباغض، والتقاطع والتدابر، وربّما أدى إلى التقاتل وسفك الدماء.

---

(١) ديوان الجداول، إيليا أبو ماضي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦١م، ص ٢٦.

ومن صور أدب الاختلاف، أو قل الحوار الحضاري في آيات القرآن:

أ. تقبل الآخر، ويقتضي ذلك تخلّي المتحاورين عن وجهات النظر المسبقة، وعدم احتكار الحقيقة، والاستعداد لقبول الحق: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[1].

ب. افتراض صحة الجانب الآخر، وعدم النظر إليه بعين الرِّيبة والاتهام:

﴿قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾[2].

ج. إنصاف الآخر، ومعاملته بالعدل، واحترامه وعدم التعرض لحياته الخاصة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾[3].

د. مجادلة الآخر بالتي هي أحسن دون مكابرة أو سعي إلى إظهار الفضل عليه:

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[4].

هـ. تجنّب إيذاء الآخر والاستهزاء به أو شتمه: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن

---

(١) سبأ، آية٢٤.

(٢) سبأ، آية٢٥.

(٣) المائدة، آية ٨.

(٤) العنكبوت، آية ٤٦.




دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1].

والتخلّق بأدب الاختلاف ركن أساسي من أركان الدَّعوة الناجحة، والتواصل المثمر، والحوار الإيجابي، ولهذا حرص العلماء على تبيان الضوابط الشَّرعية في التعامل مع النَّاس[2].

وبهذا يتضح أنَّ القرآن الكريم كتاب هداية وحضارة ينشئ الأجيال على المكارم، ولا يعلّم الإساءة والإيذاء، فلا عسر فيه يمنع إقامة علاقات طبيعية مع الآخرين، ولكنَّ العسر اليوم في البلاد الغربية التي ينشأ أطفالها في مدارسهم على كتب تزخر بالطعن على الآخرين، وتَنزل بهم إلى منزلة الوحوش، وتَزري بهم وبعقيدتهم وبحياتهم، وتحطّ من شأن مكانتهم في تاريخ الحضارة الإنسانية، ولا خلاص إذا أريد إقامة الحوار الحضاري مع الشعوب إلا بتنقية هذه الكتب المدرسية

(١) الأنعام، آية ١٠٨.

(٢) انظر: أدب الحوار والمناظرة، د. علي جريشه، ط٢، دار الوفاء- المنصورة، ١٤١٢هـ .١٩٩١م، ص ٦٩-٧١.

وانظر: أدب الحوار، د. عبد العزيز الخياط، منشورات وزارة الثقافة، عمان- الأردن، ٢٠٠٧م، ص ٥١-٦٨.

وانظر: كيف ندعو النَّاس، عبد البديع صقر، ط١٠، مكتبة وهبة- القاهرة،١٤١٠هـ .١٩٩٠م. ص ٥٠-٥٢.




مما فيها من تعصب عرقي وهيمنة استعمارية[١].

وقد استلهم الإمام الشافعي هذه الآداب فأنشأ أبياتاً في أدب المناظرة والاختلاف:

إذا ما كنتَ ذا فَضْلٍ وعلْم ... بما اختلفَ الأوائلُ والأواخرْ

فناظِرْ مَنْ تناظرُ في سُكون ... حَليماً لا تُلحُّ ولا تُكابرْ

وإيّاك اللَّجوج ومَنْ يرائي ... بأنِّي قد غَلَبْت ومَنْ يُفاخرْ

فإنَّ الشَّر في جنَبات هذا ... يُمَنِّي بالتَّقاطعِ والتَّدابرْ![٢]

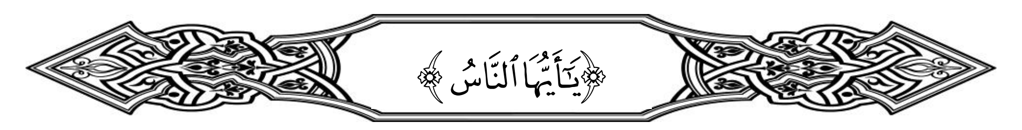
وفي ظلال هذا الأدب القرآني، أدب الاختلاف يعبر الشاعر "المقنّع الكندي" عن حبه لقومه، وتضحيته في سبيل رفعتهم، ويذكر طائفةً من أخلاقه النبيلة في التأدب معهم، وصون أعراضهم من طعن لسانه، وسلامة صدْره من الحقد عليهم:

وإنَّ الذي بيني وبينَ بني أبي ... وبينَ بني أمّي لمختلفٌ جدّا

فإنْ أكلوا لحمي وفَرت لُحومهم ... وإنْ هدَموا مجدي بنيت لهم مَجّدا

(١) انظر: نحن والعصر، د. ناصر الدين الأسد، منشورات وزارة الثقافة، عمان - الأردن، ٢٠٠٧م، ص ٢٤١- ٢٤٢.

(٢) ديوان الشافعي، محمد بن إدريس الشافعي، جمعه وعلّق عليه: محمد عفيف الزعبي، ص ٤٥.




وإنْ ضيعوا غَيبي حفظت غيوبَهم ... وإنْ هم هووا غَيي هويت لهم رشْدا

لهم جلُّ مالي إنْ تتابع لي غنى ... وإنْ قلَّ مالي لم أُكلّفْهم رِفْدا

ولا أحمل الحقدَ القديم عليهم ... وليس رئيس القوم من يحمل الحقْدا![1]

فالشاعر الذي نهل من معين أدب القرآن يرى لزاماً على من يتصدّر النَّاس أن يتحلّى بالشمائل الأصيلة، والمكارم النبيلة، فيسع النَّاس بِحِلْمه، ويبذل لهم وسع طاقته، ولو نالوا منه، أو هدموا بنيانَ مجده.

**استئناف المسيرة بتنفيذ النِّداء القُرْآنيّ:**

وإذا كانت الأمة قد تجافت عن هذه المعالم الحضارية، وتطمح إلى العودة إلى ريادتها وسالف عهدها من التقدّم والرُّقي، فما زال الخطَاب القَرآني قادراً على إعادة ذلك الدور المفقود؛ لأن الله الذي كتب له العالمية حفظه من التّبديل والتّحريف، وإذا كان أقصى ما وصلت إليه الحضارة المعاصرة هو إقرار التعدّد، فإن عالمية الخطَاب الإسلامي استوعبت التعدّد بعد الإقرار به، ودفعه باتجاه العالمية؛ ليتحول إلى عامل دفع في إطار تنوع بشري إيجابي تهيمن عليه أنوار الهدى[2].

وأساس العودة إلى الريادة الحضارية هو جعل الكتاب والسنة مصدرين

---

(١) الأمالي، أبو علي القالي، المكتب التجاري، بيروت، ١٩٥٨م، ج١، ص٢٨٠.

(٢) انظر: أبعاد غائبة، طه جابر العلواني، ص ٧٥.



أساسيين للفكر، والثقافة، والمعرفة، والحضارة، وليس الاجتهادات الخاصة، أو المناهج الشرقية أو الغربية(١).

والأمة كلّها، ولا سيما العربية قد مرت في محنة كبيرة، وهزائم كثيرة، وأزمة تاريخية عميقة، وعانت تخلّفاً في المجالات كافة، وقد أخفق الخطَاب العربي في تغيير واقعها أو إصلاحه، وهو اليوم في حاجة ماسة إلى المراجعة والتقويم(٢).

ويواجه الإنسانُ العربي اليوم تحدّياً حضارياً يتطلب مراجعةً شاملة لأساليب التربية، وتخطيطاً جديداً لمشاريع التنمية، وبناء علاقات سليمة، ورفع الاضطهاد عن الضعفاء في المجتمع، وهم الأطفال والنساء والفقراء؛ ليتمكّن العربي من مواجهة التحدّي الحضاري الغربي الذي فرض نُظُمه السياسية والاقتصادية(٣).

وإذا ما أريد استئناف المسيرة الحضارية من جديد فلا بدَّ من تعميق الولاء للإسلام، والتضامن على الخطَاب القُرآني، وتوثيق الإخاء، وتصحيح الانتماء؛ ذلك لأنَّ الإسلام رسالة عالمية، قد اعتنقته أجناس كثيرة، فكانت حضارته

---

(١) انظر: إصلاح الفكر الإسلامي، طه جابر العلواني، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ط٢، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م. ص ٩٤.

(٢) انظر: الخطَاب العربي المعاصر، فادي إسماعيل، الدار العالمية للفكر الإسلامي، الرياض، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، ص ٢٨- ٣١.

(٣) انظر: مقدّمات لدراسة المجتمع العربي، هشام شرابي، الأهلية، بيروت، ط٣، ١٩٨٠م، ص ٨٢-٩٩.

العظيمة من صنع هذه الأجناس كلّها، ولذلك فإنَّ إثارة النَّعرات العرقية صدع للبناء الإسلامي، وعود للجاهليات الأولى[1].

والعالم اليوم ينتظر الأمة المسلمة أن تعود إلى سيرتها الحضارية؛ لأنَّ هذا العصر يواجه معضلات أساسية تتشكّل من ظواهرها أزمته الراهنة، وهي ظاهرة الافتقار الرُّوحي، وظاهرة تفاحش آثار الثروة الإنتاجية، وظاهرة الحرمان الاجتماعي[2].

ولا بدَّ من إعادة السيادة لأدب القرآن، ليواكب المسيرة الحضارية كما واكبها من قبل، فعبر عن الحياة الحضرية، وصور مظاهر التطور والرقي من قصور باذخات، وعمائر سامقة، وحدائق غنّاء، كما نجد ذلك في أدب الجاحظ، وابن المعتز، وأبي تمام، والبحتري، والمتنبي، وكشاجم الرملي، والصنوبري، والشَّريف الرضي[3].

واللغة العربية قادرة اليوم على مواكبة الحضارة كما كانت من قبل، وليست

(١) انظر: مستقبل الإسلام خارج أرضه، الشيخ محمد الغزالي، مؤسسة الشرق، عمان –الأردن، ط١، ١٩٨٤م، ص ١٨٣-١٩١.

(٢) انظر: آفاق الإسلام (الأردن) س ٣، ع ٤، كانون أول ١٩٩٥م، (الهوية الإسلامية والتفاعل الحضاري)، عبد الهادي بوطالب، ص ٢٢-٢٩.

(٣) انظر: الأدب والحضارة، د. السيد تقي الدين، ص ١٠٦-١٢٦.





لغة صحراء وسيف وناقة، أو لغة غزل ووقوف على أطلال كما يزعم خصومها[1].

فإلى ذلك اليوم الحضاري الموعود نمدّ أيدينا ضارعين بالدعاء، ونمدّها لتكتب وتَبدع، ولتعمل وتَنّجز، ولتصلح وتَصافح، ولتتلاقى مع الحضارات الأخرى، وتَفيد منها.

---

(١) انظر: العربية تواجه التحديات، د. طالب عبد الرحمن، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف، قطر، السنة ٢٦، العدد ١١٦، ذو القعدة ١٤٢٧هـ، ص ٩٧-١١١.




# الفصل الثالث

## جمالية الخِطَاب القُرْآنيّ للناس

اتَّسمَ القرآنُ الكريم بعالمية خطابه، وعالمية غاياته وأهدافه، وعالمية لُغته التي استَحالتْ من لغة صحراوية إلىَ لغَة راقية في الأدب والعلم والدّين.

وقد ضَمختً العربية بالقرآن فَغدتَ تعبر تعبيراً دقيقاً متناهياً عن وهجِ الألم في جوانحِ النفس، وتعبر عن إشراقة الأمل في مكامن الذّهن، وتعبر عن نتاج العمل لكلِّ امرئ مُستخف بالليل، أو سارب بالنّهار.

أما لغَة القرآن فبيانٌ ساحر لا مثيل له، ونسق بديع لا يُجارى، واتّساق محكم لا يبارى، وإيقاع باهر يسلب القلوب، ويخلب العقول.

وإذا ما رمنا أن نجلّي الجوانب الجمالية في لغة الخِطَاب القَرآني الموجه للناس فلا مندوحة من تدبر هذه الخصائص المتفردة:

### ١- رشاقة أسلوب النِّداء:

يشي استعمالُ النِّداء في مخاطبة النَّاس بقرب الله من عباده، ومحبته لهم، وإرادته الخير لأجيالهم المتعاقبة، كما يضفي ألواناً ممزوجة من لطف الله وعطفه ورحمته بهم؛ إذ إنَّ النِّداء أسلوب رشيق من أجمل أساليب المخاطبة والمحادثة في اللغة العربية.




وانظر ما أحسن هذا الأسلوب، وما ألطف وقْعه في الآيات المفتتحة بخطاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ كمثل قوله تعالى:

﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾(1).

ولقد كثر النِّداء بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، لاستقلاله بأوجه من التأكيد، وكُل ما نادى الله له عباده من حيث إنها أمور عظام من حقّها أن يتفطّنوا لها، ويقبلوا بقلوبهم عليها، وأكثر النَّاس عن هذه الأمور غافلون، مما اقتضى أن ينادى لها بالآكد الأبلغ(2).

## ٢- براعة الإيجاز:

تضمنت آيات النِّداء القَرآني طائفة من الموضوعات التي خاطبت النَّاس كلّهم على اختلاف مداركهم وثقافتهم وتباعد أزمانهم وبلدانهم، وجاءت تلك الموضوعات موجزة تحمل رسائل قصيرة عاجلة للناس، ولكنّها عظيمة النفع، كثيرة المعاني.

وهذا الأسلوب هو الإيجاز الذي يعني جمع المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل الوافي بالغرض مع الإبانة والإفصاح، وهو مطْمح نظر البلغاء، وبه تتفاوت

(١) يونس، آية ٢٣.

(٢) انظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ج١، ص ٤١.




أقدارهم، وقد سئل بعضهم عن البلاغة فقال: هي الإيجاز. وسئل أكثم بن صيفي خطيب العرب فقال: البلاغة الإيجاز(١).

وإذا تأملنا واحدة من هذه الآيات نجد كيف عبرت الألفاظُ القليلة عن المعاني الكثيرة، وكيف ابتدأت بالإنشاء، وهو النِّداء، ثم انتقلت إلى الخبر، واستعملت ثلاثة مؤّكدات، ونظمت ذلك كلّه في أوج رفيع عجيب من الإشراق والبيان:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٢).

فهذه الآية الكريمة قد اشتملت على نحو عشرين كلمة، ولكن شرحها وتحليلها ودراستها واستنباط المعاني منها يحتاج كل ذلك إلى صفحات كثيرة، بل إلى كتب عديدة.

وكذا تأمل بعقلك وخيالك وذوقك الإيجاز العجيب في قوله تعالى:

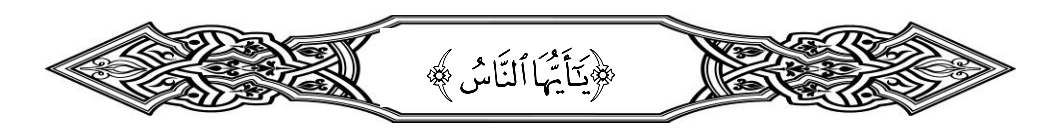
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾(٣).

---

(١) انظر: جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت، ص ١٧٦- ١٧٨.

(٢) الحجرات، آية ١٣.

(٣) النساء، آية ١٧٤.





**٣- التشبيه البليغ:**

احتفت الآيات المفتتحة بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ بالصُّور البلاغية التي تعمق المعنى في الذهن، وتضعه أمام النواظر كأنّه يرى رأي العين، ومنها قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾(1).

ففي مقطع "وتَرى النَّاس سُكَارَى وما هُمْ بسكَارَى" تشبيه بليغ، أي النَّاس كالسُّكارى، وهو تشبيه يجعل المشبه عين المشبهَ به، وقد حذف منه وجه الشبه وأداة التشبيه.

ومثاله من الكلام: العالم سراجٌ، وأصله: العالم كالسِّراج في الضياء.

ومنه: حاتم بحر، وخالدٌ أسَد، والمؤمن مرآة أخيه.

وفي الآية الكريمة "شبه النَّاس في ذلك اليوم العصيب بحالة السُّكارى الذين فقدوا التمييز، وأضاعوا الرشد.

والعلماء يقولون: إنَّ من أدلة المجاز صدقَ نقيضه، كقولك زيد حمار إذا وصفته بالبلادة والغباء، ثم يصدُقُ أن تقول: وما هو بحمار، فتنفي عنه الحقيقة، فكذلك الآية بعد أن أثبتت السُّكر المجازي نفَت الحقيقة أبلغَ نفي مؤكّد بالباء.

---

(١) الحج، الآيتان ١، ٢.




والسِّر في تأكيده التنبيه على أن هذا السُّكر الذي هو بهم في تلك الحالة ليس من المعهود في شيء، وإنما هو أمر لم يعهدوا قبله مثله، والاستدراك بقوله: "وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّه شَدِيدٌ" راجع إلى قوله "وَمَا هُمْ بِسكَارَى"، ،كأنّه تعليل لإثبات السُّكر المجازي، كأنه قِيل: إذا لم يكونوا سكارى مَن الخمر، وهو السُّكر المعهود، فما هذا السُّكر الغريب؟ وما سببه؟ فقيل: شدّة عذاب الله"(١).

**٤- التمثيل الرَّائع:**

التمثيل في القرآن فن رفيع يستحوذ على ذهن المتلقي، ويبعث في نفسه الدهشة، ويغريه بالتأمل والتفكر، ومن ذلك قول الله تعالى الذي يخاطب به النَّاس، ويضرب لهم المثل الدقيق:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾(٢).

فالقرآن يضرب مثلاً يبين فيه أنَّ الكفار في عبادتهم لغير الله كمثل الأصنام التي لا تستطيع أن تخلق ذبابة واحدة، بل لا تستطيع أن تسترجع من الذباب شيئاً إذا أخذه.

(١) إعراب القرآن، محيي الدين الدرويش، ج٥، ص ٩٦.

(٢) الحج، آية ٧٣.




والآية من أبلغ ما أنزل الله في تجهيل الكافرين، واستركاك عقولهم لغرابة التمثيل، وذلك حين اقتصر سبحانه على أضعف المخلوقات، وأقلها سلباً لما تسلبه، وتعجيز كُل من دونه سبحانه كائناً من كان عن خلق مثله، مع التضافر والاجتماع.

ثم جاء لهم بما يقضي الظاهر أنه أيسر من الخلق بان يسترجعوا شيئاً مما يسلبه الذباب، ولم يسمع مثل هذا التمثيل في بابه لأحد قبل نزول الكتاب العزيز[1].

**٥-الاحتفاء بألوان البديع:**

احتفت الآيات المفتتحة بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ بألوان من البديع، والبديع يزيد الكلام حسناً وطلاوة، ويكسوه بهاء وحلاوة، وهو أنواع كثيرة منها الطِّباق، والسَّجع، والجناس، والتورية[2].

ولو تدبرنا هاتين الآيتين الكريمتين:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾[3].

---

(١) انظر: إعراب القرآن، محيي الدين الدرويش، ج٥، ص ١٧٥-١٧٦.

(٢) انظر: جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، ص ٢٨٦ وما بعدها.

(٣) النساء، آية١٧٠.




﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾(١).

لو تدبرناهما لوجدناها حافلتين بألوان البديع كالطباق والسَّجع، أما الطِّباق فهو الجمع بين الشيء وضدّه في الكلام نحو: الفقر، الغنى/يذهب، يأت/ الإيمان، الكفر.

وأما السَّجع فهو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير نحو: "واللّهُ هُو الْغَنِيُّ الْحَميدُ"، "ويأْت بخَلْق جَديد".

ويتسم البَديعَ القُرآنيَ بجَمال وقْعِه في السَّمع، واتساقه الكامل مع المعنى.

والخلاصة أنَّ في أسلوب النّداء توجيهاً للأنظار إلى المنادى، وتركيزاً للاهتمام حوله، وأنَّ فيه ضرباً من الإيجاز، واختصاراً للألفاظ، وتلوينا للكلام، والتفاتاً بليغاً يرغّب في استمالة المخاطب، ويبعث الاطمئنان في نفس السَّامع(٢).

وأنَّ جمالية الخطَاب القُرآني الموجّه للناس يتميزّ بالإعجاز، إعجاز المفردة، وإعجاز العبارة، وإعجاز التعبير في جريانه على نسق واحد من البيان الباهر في اللفظ والمعنى والصياغة، وإعجاز النّغم والإيقاع الذي يتجلّى في التلاؤم والاتساق بين الحروف والكلمات والجمل وحركاتها وسكناتها وأصواتها، فتنتظم كُلّها في نسق بديع وإيقاع رائع.

(١) فاطر، الآيتان ١٥-١٧.

(٢) شبكة المعلومات (الإنترنت): شبكة المنهاج الإسلامية www. almenhaj.net



وسحْر جمالية هذا الخطَاب راجع إلى نسق القرآن الذي "جمع بين مزايا الشِّعر والنثر جميعاً، فقد أعفَى التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة، فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة، وأخذ في الوقت ذاته من خصائص الشعر الموسيقى الداخلية، والفواصل المتقاربة في الوزن التي تَغني عن التفاعيل، والتقفية التي تغني عن القوافي، وضمَّ ذلك إلى الخصائص التي ذكرنا فشأن النثر والنظم جميعاً"(١).

ولعل الأديب هو أقدر النَّاس على استجلاء جمالية الخطَاب القُرآني بتَنَزّله البياني، وخطابه العالمي للناس، وسمو أهدافه وغاياته، وبلاغة لغته.

ولذلك فإنَّ الأديب مطالب بأنْ يضمن في أدبه الجوانب الجمالية، والمعالم الحضارية التي يفيض بها الخطَاب القُرآني؛ ليكون أدبه فاعلاً في التأثير الإمتاعي، وإثراء الحوار الحضاري، وإغناء ميادينه، وذلك بما أوتي أدبه من قُوّة بيانية في الطّرح الفكري، وقدرة تعبيرية عن المشاعر الإنسانية، وإشباعِ الحاسة الجمالية بما يحمله النصُّ من سحْرِ الصّياغة، وعبَق الدّلالة.

وقدرةَ الأديب الفائقة علَى تبليغ الخطَاب القُرآني تتأتّى من كون الخطَاب القُرآني خِطاباً بيانياً يرقى بالأذواق، ويمتّع النفوس، ويخاطب العقول بمستوياتها المتفاوتة.

---

(١) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، د.ط، ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م، ص ٨٧.



# خاتمة

**أيها القارئ الكريم،**

كانت هذه جولة في رحاب الخطَاب الذي شعت أنواره في آي الذّكر الحكيم، ذلك الخطَاب العالمي في أبعاده ومراميه، الجمالي في تعبيره ومبانيه.

وقد آن أنْ نجمل نتائج تلك الجولة، ونجني قطوفها اليانعة، فقد أثبتت هذه الدراسة:

١- أنَّ النِّداء الإلهي جاء عاماً للناس جميعهم، لا يخص طائفةً دون طائفة، أو أهل عصر دون عصر، أو سكان إقليم دون إقليم.

٢- أنَّ من أعظم التشريف للناس أن يخصهم الله بخطابه، ويشملَهم برحمته ولطفه، ويبين لهم ما ينفعهم، ويصلح حياتهم، ويدلّهم على ما يسعدهم في الحياة الآخرة.

٣- أنَّ الخِطَاب القُرآني للناس جاء واضحاً شاملاً يجلّي غاية هذا الكتاب العزيز، ويبين أنَّ هذه الغاية هي الهداية إلى أقوم حياة، وأقوم حضارة.

٤- أنَّ نداء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ قد فجر نهضة حضارية راقية؛ إذ استجابت له الأمة المسلمة، وكان من ثماره الحضارية اليانعة: تغيير الأمة الأمية إلى أمة علمية،




وبناء الإنسان المتحضر، وإقامة صرح الأدب الأصيل.

٥- أنَّ المضامين التي يزخر بها الخطَاب القُرآني قد انتظمت في عشَرة محاور هي:

عبادة الله ﷻ، والتصديق برسالة محمد ﷺ، والاهتداء بالقرآن العظيم، والانتفاع بطيبات الأرض، والشُّكر الدائم على النِّعم، والتأمل في عجائب المخلوقات، وتحمل المسؤولية، وإعداد الطاعة لأهوال الساعة، والإيمان بالبعث والنشور، والتواصل الحضاري بين النَّاس.

٦- أنَّ الخطَاب القُرآني للناس يتسم بمزايا حضارية راقية منها أنّه:

أ. يلازم بين الدنيا والآخرة، فيصلح دنيا النَّاس، ويعِدّهم للحياة الحقيقية في الآخرة.

ب. يمنع الإكراه الديني، والثقافي، والحضاري، ويدعو إلى الحفاظ على خصوصية الأمم.

ج. لا يغمط الحضارات السابقة حقّها، بل يرشد إلى دراسة آثارها وفنونها.

د. يؤكّد مفاهيم الحضارة ونماذجها الفاعلة؛ إذْ يعبر عن المعاني باستعمال الألفاظ الحضارية مثل البيع والشراء، والكيل والميزان.

هـ. يحارب كُلَّ الاعتبارات التي تؤدي إلى التفريق بين النَّاس، يحارب الكبر والتعالي، والطغيان المَالي، والاستبداد السياسي، ويعلي كرامة الإنسان، ويقدّر مكانته.

و. يحتفي بأدب الاختلاف والتواصل الحضاري، وبناء الروابط الإنسانية، وتوثيق عراها.

٧- أنَّ الجوانب الجمالية في لغة الخطَاب القَرآني الموجه للناس هي: رشاقة أسلوب النِّداء، وبراعة الإيجاز، والتشبيه البليغ، والتمثيل الرَّائع، والاحتفاء بألوان البديع.

٨- أنَّ جمالية الخطَاب القَرآني الموجه للناس يتميّز بالإعجاز، إعجاز المفردة، وإعجاز العبارة، وإعجاز التعبير، وإعجاز النغم والإيقاع.

٩- أنَّ الأديب هو أقدر النَّاس على استجلاء جمالية الخطَاب القَرآني بتَنَزّله البياني، وخطابه العالمي للناس، وسمو أهدافه وغاياته، وبلاغة لغته، وأنّه مطالب بأَنْ يضمن في أدبه الجوانب الجمالية، والمعالم الحضارية التي يفيض بها الخطَاب القَرآني؛ ليكون أدبه فاعلاً في التأثير الإمتاعي، وإثراء الحوار الحضاري.

١٠- أنَّ القرآن أقام صرحاً حضارياً جديداً للأدب ليس في مضامينه ما يحطّ

من قيمة الإنسان وكرامته، وأنَّ طائفة من الأدباء القدامى والمحدثين قد استلهموا الخِطَاب القُرآني، وقد انعكس في أعمالهم الأدبية، وتردَّد صداه في نفوسهم.

**وتوصي هذه الدِّراسة أهل العلم والأدب والدعوة بالجوانب الهامة التالية:**

١- العناية الفائقة بدور القرآن الكريم في الإمتاع الجمالي، والإشعاع الحضاري من خلال إلقاء المحاضرات، وعقد الندوات، وإقامة المؤتمرات.

٢- دراسة نماذج رفيعة من الأدب الإنساني، وبيان أثر الخِطَاب القُرآني في تأصيلها وإبداعها وخلودها الأدبي.

٣- تناول موضوعات بحثية دقيقة تتصل بدور القرآن الكريم في النهضة الحضارية العالمية مثل:

- أثر الخِطَاب القُرآني في تشكيل العقل المسلم.
- أثر القرآن الكريم في تنوير العقل الغربي.
- أثر القرآن الكريم في تطوير مفاهيم السلم العالمي.
- دور القرآن الكريم في الإسهام الحضاري للمرأة المسلمة.
- دور القرآن الكريم في إثراء الخيال في الفن القصصي العالمي.




**مِسْك الختام،**

ومِسْكُ الختام قول الله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

فطوبى لِمن استجاب واستقام، وألقى السمع وهو شهيد.

ولَم يبق لقلمي شيء يجاهر به غير أن أرفع يديَّ ضارعاً إلى ربِّ العالمين اللطيف بعباده الذي نادى النَّاس أجمعين أن يجعلنا ممّن استجاب لندائه الكريم، وأن ينفع بهذا العمل طلبةَ العلم والدعاة والأدباء وسائر عباده.

وأتضرع إلى الله ﷻ مجيب المضطر إذا دعاه أن يتقبل عملي هذا خالصاً واصباً لوجهه، وأنْ يجعل ثوابه وأجره لوالدي اللذين ربياني صغيراً، وعلّماني نُطْق الحرف، وحدَبا علي، وأن ينوِّر عليهما قبريهما، ويدخلَهما في رحمته، ورياضِ جنّيه، وأن يحشرهما ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾.

وأسأل الله ﷻ أنْ يغفر لموتى هذه الأمة المسلمة، وأن يتجاوز عن سيِّئاتهم في عباده الصَّالحين، وأن يرحمنا إذا صرنا إلى ما صاروا إليه.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾.

**والحمد لله رب العالمين**



# المصادر والمراجع


١- القرآن الكريم.

٢- أبعاد غائبة عن فكر وممارسات الحركات الإسلامية المعاصرة، طه جابر العلواني، المعهد العالم للفكر الإسلامي، فرجينيا، أمريكا، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٣- أدب الحوار، د. عبد العزيز الخياط، منشورات وزارة الثقافة، عمان- الأردن، ٢٠٠٧م.

٤- أدب الحوار والمناظرة، د. علي جريشه، دار الوفاء، المنصورة، ط٢، ١٤١٢ هـ١٩٩١م.

٥- الأدب والحضارة، د. السيد تقي الدين، دار نهضة مصر، الفجالة- القاهرة، ١٩٨٤م.

٦- الاستبعاد الاجتماعي، جون هيلز ورفاقه، ترجمة د. محمد الجوهري، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، ٢٠٠٧م.

٧- إصلاح الفكر الإسلامي، طه جابر العلواني، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ط٢، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

٨- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش، ط ٦، دار ابن كثير، ودار اليمامة، دمشق- بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.




٩- الأمالي، أبو علي القالي، المكتب التجاري، بيروت، ١٩٥٨م.

١٠- بنو الإنسان، بيتر فارب، ترجمة زهير الكرمي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

١١- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، د.ط، ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م.

١٢- التفسير القُرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت.

١٣- جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت.

١٤- حقوق الإنسان في ضوء الحديث النبوي، يسري محمد أرشد، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف، قطر، السنة ٢٦، العدد ١١٤، رجب ١٤٢٧هـ.

١٥- الخطَاب العربي المعاصر، فادي إسماعيل، الدار العالمية للفكر الإسلامي، الرياض، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

١٦- الخطَاب القُرآني المعاصر، د. جمال نصار حسين، دار الإسراء- الأردن، ط١، ٢٠٠٠م.

١٧- دراسات في التراث الجغرافي العربي، د. صباح محمود محمد، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م.

١٨- دراسة أدبية لنصوص من القرآن، محمد المبارك، دار الخير، بيروت، د.ط، د.ت.

١٩- ديوان الجداول، إيليا أبو ماضي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦١م.

٢٠- ديوان الشافعي، محمد بن إدريس الشافعي، جمعه وعلّق عليه: محمد عفيف الزعبي، مؤسسة الزعبي، ودار الجيل، بيروت، ط٣، ١٣٩٢هـ١٩٧٤م.

٢١- ديوان هاشم الرفاعي، جمع وتحقيق: محمد حسن بريغش، مكتبة المنار، الزرقاء، ط٢، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م.

٢٢- الرسالة الخاتمة، عون الشريف قاسم، دار الجيل، بيروت، دار المأمون، الخرطوم، ط٢، ١٤١٠هـ١٩٩٠م.

٢٣- الرسالة الخالدة، عبد الرحمن عزام، المطبعة الوطنية، عمان، ط٢، ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م.

٢٤- روائع حضارتنا، د. مصطفى السباعي، مطبعة النور، عمان، ط ١٠، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٢٥- السلام العالمي والإسلام، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط ٧، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٢٦- السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا ورفيقيه، دار الكنوز. د.ط، د.ت.

٢٧- سيكولوجية العلاقات بين الجماعات، د. أحمد زايد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، ٢٠٠٦م.




٢٨- شرح سقط الزند، أبو العلاء المعري، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

٢٩- الشعر والشعراء في الكتاب والسنّة، يوسف العظم، ط١، دار الفرقان، عمان ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٣٠- الشوقيات، أحمد شوقي، تحقيق: د. عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، د.ط، د.ت.

٣١- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (٢٥٦هـ)، تقديم فضيلة الشيخ: أحمد محمد شاكر، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت.

٣٢- صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق: الشّيخ خليل شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط ٨، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٣٣- صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي، د. محمد علي الصَّلابي، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

٣٤- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الفكر، بيروت، د.ت.

٣٥- العربية تواجه التحديات، د. طالب عبد الرحمن، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف، قطر، السنة ٢٦، العدد ١١٦، ذو القعدة ١٤٢٧هـ.

٣٦- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصَّحابة بعد وفاة النبي ﷺ، أبو بكر بن العربي (٥٤٣ هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار الكتب السَّلفية، د.ط، د.ت.




٣٧- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٧، ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨م.

٣٨- كليلة ودمنة، ابن المقفّع، المكتبة الحديثة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

٣٩- ٣٩- كيف ندعو النَّاس، عبد البديع صقر، ط١٠، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٠هـ١٩٩٠م.

٤٠- مختار الصِّحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، طبعة حديثة منقحة، ١٩٧٩م.

٤١- مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق: محمد علي الصابوني، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

٤٢- مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٨٣هـ ١٩٨٣م.

٤٣- مستقبل الإسلام خارج أرضه، الشيخ محمد الغزالي، مؤسسة الشرق، عمان – الأردن، ط١، ١٩٨٤م.

٤٤- المصباح المنير، أحمد بن علي الفيومي (٧٧٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ١٩٩٤م.

٤٥- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ط٢، دار الفكر، بيروت ١٤٠١هـ ١٩٨١م.




٤٦- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس ورفاقه، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٢، د.ت.

٤٧- مقدّمات لدراسة المجتمع العربي، هشام شرابي، الأهلية، بيروت، ط٣، ١٩٨٠م.

٤٨- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون (٨٠٨هـ)، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت.

٤٩- من قضايا الأدب الإسلامي ، د. صالح آدم بيلو، دار المنارة، جدة، ط١، ١٤٠٥هـ١٩٨٥.

٥٠- من قضايا اللغة العربية المعاصرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٩٠م.

٥١- منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، ط٦، دار الشروق، بيروت، ١٤٠٣هـ١٩٨٣م.

٥٢- نحن والعصر، د. ناصر الدين الأسد، منشورات وزارة الثقافة، عمان – الأردن، ٢٠٠٧م.

٥٣- النَّحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، ط٣، د.ت.


**المجلات العربيّة**


١) آفاق الإسلام (الأردن) س ٣، ع ٣، أيلول ١٩٩٥م.




س ٣، ع ٤، كانون أول ١٩٩٥م.

٢) إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي:

س ٨، ع ٣١- ٣٢، ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م.

س ١٠، ع ٣٧، ٣٨، ١٤٢٥هـ٢٠٠٤م.

٣) مجلة جامعة القرآن الكريم، أم درمان، ع١، ذو القعدة ١٤١٥هـ - نيسان ١٩٩٥م.

**شبكة المعلومات العالميّة (الإنترنت):**

- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم www.aldajwa.orq

- شبكة المنهاج الإسلامية www. almenhaj.net

# الفهرس

تم بحمد الله